

لماذا اخترت القاعدة؟



للشيخ الشهيد

أبو مصعب - محمد عمير الكلوي العولقي

تقبله الله

الذي استشهد في القصف الأمريكي على وادي رفض بولاية شبوة فجر الخميس ١٤٣١/٧/١هـ

لماذا اخترت القاعدة

للشيخ

محمد عمير الكلوي العولقي

رحمه الله

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الطبعة الأولى

تقديم الأمير الشيخ أبي بصير ناصر الوحيشي - حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد

طلب - رحمه الله - أن يقدم له شيخنا أبو عبد الرحمن، وشيخنا وكلني بأن أقدم له؛ وفاءً للشهيد، وعرفاناً لحقه، وشكراً منا لجهد.

فأقول: إن أصدق الكلمات وأثمن المبادئ هي التي تسفك من أجلها الدماء، وتذهب في سبيلها الأرواح، وتفنى في طلبها الأعمار.

لقد برهن الشيخ محمد عمير على ما كتب بدمه، وكانت هذه الكلمات التي كتبها ونقرأها نحن بعده هي ما استقر عليه بحثه، واعتقده جنانه، بعد ليالي من البحث والندوة، والمناقشة، طوال أيام رحلته في طلب العلم الشريف، التي كانت حافلة بصدق الإتيان، وترك الابتداء، ونبذ تقليد الرجال، والالتزام بالدليل، والتجرد لله، والعمل بما اعتقد.

وذكرتني صورة مصرع الشيخ محمد عمير وقد ضرج جسده الطاهر بالدماء - فما رأيت مخضباً بدمائه مثله - مصرع الاستشهادي الشيخ لطفي بحر - الذي اقتحم السفارة الأمريكية في صنعاء بسيارته المفخخة وبحزامه الناسف - فكلما البطلين الشهيدين كان هدفهما الأمريكان، وأستهدفا من قبل الصليبيين، فالحمد لله أن دعائنا ومشايخنا في مقدمة صفوف جهادنا، محرضين ومعلمين ومجاهدين، بل واستشهاديين.

وهذا هو حال علماء الأمة سلفاً وخلفاً، وهذا هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ورثه للعلماء، فليس في ديننا علماء قاعدون عن نصرته، ولا يتصور أن يكون هناك علماء لا يجاهدون، ولا يحدثون أنفسهم بالغزو، ولم تغبر أقدامهم في سبيل الله لحظة، ولا يستقر في الأذهان أن يمر زمان ولا جهاد فيه، وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الجهاد ماض إلى قيام الساعة (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس) رواه مسلم.

إذا فمن لم يجاهد فهو إما قاعد، أو منافق، أو خاذل، أو معذور، فما ثم غير.

لقد اختار الشيخ محمد عمير طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعاد إلى ترجمة الدعاة والعلماء أنه حضر معركة كذا، وقاتل وأعد واستشهد، التي كانت تذكر في تراجم الصحابة الكرام (حضر المشاهد كلها، وقاتل، وحضر فتح الشام والعراق، واستشهد) ففقدت من تراجم المعاصرين، فلا تكاد تجدها، وكثر موتى الفرش حتف الأنوف كما تموت العير، فلا نامت أعين الجبناء.

اختار الشيخ محمد عمير القاعدة للأسباب التي ذكرها في هذا الكتاب، وعرض مسيرة المجاهدين على الكتاب والسنة، وحال سلف الأمة؛ فوجد النتيجة التي سيصل إليها أي باحث عن الحق، منصف صادق

مع نفسه؛ لأن منهج المجاهدين هو الذي كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم-.

عرض الشيخ الفكرة بأسلوب سهل، بعيداً عن التكلف والتعقيد، ودلل من الكتاب والسنة على كل نقطة، وقارن بين ماضي الأمة وحاضرها، وكيف كان السلف، وكيف تغير الخلف، وبين أنه لن يصلح أمر هذا الخلف إلا بما رسمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين-، (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً؛ فطوبى للغرباء).

اختار الشيخ القاعدة لأنه فهم أن العلم لا بد أن يصدقه العمل، وأن كثرة الأقوال لا تجدي إن لم تقرن بالأفعال.

قلنا وأصغى السامعون طويلاً خلوا المنابر للسيوف قليلاً
السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

اختار القاعدة، لأشخاص القاعدة، أو عرقيات القاعدة، ولكنه اختار المنهج السليم الذي اختارته القاعدة، وسارت عليه، وانتهجته متبعة لا مبتدعة.

اختار الشيخ محمد عمير سلامة المنهج، وإن ذهب من أجله المهج.

وكان نهاية اختيار الداعية الشهادة، ولنا شهادة: أن انتشار دعوته وقبولها، وخدمته للإسلام بدأت حيث انتهت حياته وقتل.

وما مات من في الله ماتوا فمبتدأ حياتهم من حيث ينتهي العمر

وصدق دعوتنا باستشهاد قادتنا وعلمائنا

والله أعلم وأحكم، وسبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه محب العلماء و الشهداء وجليسهم

أبو بصير ناصر الوحيشي

٢٤ ربيع الأول ١٤٣١ من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

جزيرة العرب

تقديم الشيخ أبي البراء العولقي - حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن من نعم الله على العبد أن يوفقه بصديق صاحب حق وهمة عالية، يقول الحق ويعمل به ولو كلفه الكثير، لا يخاف في الله لومة لائم، يرضي الله بسخط الناس ولا يرضي الناس بسخط الله، وكذلك كان الشيخ أبو مصعب رحمه الله، منذ عرفته ولأكثر من عشرة أعوام ما عهدت عنه إلا خيراً، صدق وأمانة، همة في طلب العلم وتعليمه، حب شديد للدعوة، يضحى بمصالحه من أجل دينه لا بدينه من أجل مصالحه، وأكبر دليل على ذلك أنه ضحى بنفسه واختار مواطن القتل نصرة لدينه، وأي شيء أغلى من النفوس يُضحى بها، سطر بمداده دعواه وأظهر دعوته، وبرهن صدق ذلك بدمائه الزكية وحياته الرضية .

لله دره وعلى الله أجره، كم عانى من أجل البحث عن الحق والتمسك به، رماه القريب والبعيد يوم أن سار في طريق الحق وأعلنها بدون خفاء ولا مدهانة أن المجاهدين عامة والقاعدة خاصة هم الطائفة المنصورة التي لا تزال تقاتل على هذا الدين حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال، فلم يرض عنه علماء السلطان ودعاة الضلالة وحثالة من الناس، لا لشيء ولكن لخوفهم من طواغيت العرب والعجم ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

فهنيئاً لك أبا مصعب ذلك الفضل الكبير، والشرف العظيم، صدع بالحق يوم كتبه الكثير، وشهادة في سبيل الله نحسبك والله حسيبك، هنيئاً لك أبا مصعب فقد كانت حياتك طاعة لله عز وجل، وقدوة في الخير، وموتك شهادة في سبيل الله، ولن نقول كما يقول المنافقون في كل زمان ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٨)، ولكن نقول ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

كأني به وبمن كان معه عند قصف الطائرات الأمريكية على مواقعهم بتواطؤ وتسهيلات حكومة المرتد علي عبد الله صالح، كأني بهم وهم يقصفون بصواريخ كروز والقنابل العنقودية، وهم يقولون بصوت واحد: فزنا ورب الكعبة، اللهم خذ من دمائنا اليوم حتى ترضى، فرحم الله الشيخ أبا مصعب، ورحم الله من كان معه، أبا سعيد، وأبا قسورة، وأبا حفص، وأبا البراء، فهنيئاً لهم الشهادة في سبيل الله، ونعاهد الله عز وجل، على أن نأخذ بثأرهم، من أمريكا وحلفاءها، وخاصة حكومة المرتد الأسود العنسي، ونقول لجنوده: ليس بيننا وبينكم إلا الدماء، وقطع الرؤوس، ما دمتم عسكرياً وجنوداً لذلك الطاغوت، وسترون ذلك عياناً قريباً بإذن الله عز وجل .

كان رحمه الله ممن جاهد بنفسه وماله ولسانه وقلمه، فلم يقتل حتى شارك في بعض الغزوات ضد جنود

الطاغوت، وطالما دافع عن المجاهدين في مواعظه، ورد على الشبه التي تثار حولهم، وحث الناس على نصرتهم والالتحاق بهم، وكان من ذلك رسالته (لماذا اخترت القاعدة) التي ما أنهاها حتى اصطفاه الله عز وجل أن يكون جواره بإذنه سبحانه، فكان ختامها مسك، عرض عليّ أن أشاركه في رسالته تلك، لا حاجةً منه إلي، ولكن لأحظى بالأجر وشرف الدعوة إلى ذلك الأمر، فاعتذرت له بحجة أن عندي بحثاً آخر منشغلٌ به، فكتب رحمه الله أسبابه تلك، كتب بعضها في بيته، وبعضاً وهو في سفره وطريقه، وبعضاً وهو في ساحات الإعداد، وكأني به وهو يقرأ عليّ بعض تلك الأسباب، ويطلب وجهة نظري في ما ذكر، تواضعاً منه، وإلا فإنني أقل منه علماً وفضلاً وسناً، بدأ كتابتها وهو يظن أن لا تتجاوز تلك الأسباب خمسة عشر سبباً، فبارك الله عز وجل له في ذلك وفتح عليه، حتى بلغت ستة وأربعين سبباً، فنسأل الله أن يكتب أجره، وأن يعلي قدره، وأن يجعل رسالته تلك فاتحة خير لهذه الأمة، وأن يعين طلبة العلم والمشايخ أن يسيروا في الطريق الذي سار فيه، فلا خير في علم أقعد صاحبه.

وأختم بهذه الأبيات التي قلتها رثاءً في رفيق دربي، وأنيس طريقي، وشيخي ومعلمي، ومن إن نسيه الناس، فلن أنساه بإذن الله عز وجل:

إلى الله أشكو كربتي ومصيبتي	وأحتسب البلوى فيه وخطبه
وكانت إذا جاءت خطوبٌ وكربة	تهون علينا منذ أن نلتقي به
ولكنّ يومي ظل خطبٌ وكربة	وفارقني من كان أنسي بقربه
أبا مصعب لله درك من فتى	لقد كنت ظلاً نستظل بظله
تكاثرت الأعداء من كل وجهة	وقل رفاق الدرب بعد فراقه
ومال علينا كل خبءٍ وحاقدٍ	وليس لنا إلا الإله بعونه
ولكن نعاهد ربنا ومليكننا	على الصبر في هذا الطريق وهوله
أبا مصعب نلت الفضائل كلها	أنته فأكرمها وزانت بطبعه
شجاعٌ كريمٌ صادقٌ ومهذبٌ	صبورٌ تقىٌ طائعٌ للميكة
تذكرني تلك الأماكن ذكره	فحنّ لها قلبي رجاء لقاءه
وجئت إليها وانتظرت مجيئه	وناديت هل من مخبر عن حاله
تلمست علي أن أجده منادياً	وأسمع صوت صدى الجبال بصوته
فعاودت بيتي يائساً من لقاءه	وعاود جنات الإله بفضلته
أيا أرض تحويه أعزيك فالفتى	سيرحل عنك غداً فلست بأهله
فلا تبكه عند الفراق فإنه	يرفرق في طير جوار إلهه
فهذا عزائي فيه أمأه أبشري	فما الموت إلا من قضى حتف أنفه
وأما الشهيد الحر يمضي فإنه	لحيٍّ ومرزوقٍ بجنة ربه

مرثية في الشيخ محمد عمير الكلوي العولقي

رجل أخذ العلم وأبى إلا أن يقوم بواجبه فقال

كلمة الحق وقتل في سبيلها فرحمه الله وبلغه أعلى منازل الشهداء وأخلف علينا خيرا

قد مات قالوا، قلت تلك حياة
كم ميتٍ حيٍ بطيب فعاله
إن الشهيد دماؤه وضاءةٌ
ودم الشهيد رسالةٌ سيارةٌ
نور على نور بنور شهادةٍ
والعلم إن يعمل به طلابه
والعلم كنز لا يليق بأهله
تبا لمن جعلوا المبادئ سلعة
أنت الشجاع فقد كتبت رسالة
ارحل بعز قد نشرت عقيدة
قد قلتها وترى المكاره خلفها
في موقف يخشى عواقبه الألى
ما ضره لو أنه ما قالها
لكنه قد زاد دون عقيدة
والقتل من أجل العقيدة عزةٌ
إن العقيدة في القلوب عظيمة
وبها سيهزم جيشه وجنوده
قل للعوالق إن أقيم عزائهم
هذي الشهادة فافخروا بشهيدكم

وبمثل مقتله حيا أموات
ونرى أناساً في الورى قد ماتوا
ومن الدماء توقد المشكاة
لا أرض تحبسها ولا ميقات
مع نور علم تنجلي الظلمات
نيلت به في الجنة الدرجات
أن يبذلوه لكي يُنال فتات
تشرى بها الألقاب و الأقوات
وتمد من دمك الشريف دواة
ورفعت صوتا ما به إخفات
وبذي المكاره حفت الجنات
شربوا المذلة بالهوان اقتاتوا
ومضى بصمت نهجه الإسكات
ولأجل أمته يطير سبات
والعيش في أرض الهوان مमत
وبها تشن على العدى الغارات
وسيفشل الصاروخ والذرات
هذي المفاخر ما بها إخفات
وارثوا الذين على المفارش ماتوا

رثاه الشيخ: إبراهيم بن سليمان الربيش

لماذا اخترت القاعدة

الحمد لله الهادي إلى الصواب، وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الوهاب، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن أحيا سنته إلى يوم الدين... أما بعد:

إن الله إذا أراد أمراً هياً له أسبابه، وما كنتُ أظن يوماً من الأيام أن أكون فرداً من أفراد القاعدة؛ لكثرة التشويه الإعلامي من قبل وسائل الإعلام، بل ومن قبل بعض المشايخ وطلبة العلم الذين هم في حقيقة الأمر إما أن يكونوا من مشايخ وعلماء السلاطين، أو من العلماء الصادقين الذين زلت أقدامهم في هذا الأمر فكان حالهم كما قال القائل:

رام نفعاً فضر من غير قصدٍ ومن البر ما يكون عقوقاً

ولما نظرت في المسائل التي أخذت على القاعدة من المخالفين لهم، فكان بفضل الله أني لم أجد لهم مخالفة في الأصول، وأما في التنزيل فهذه مسائل اجتهادية يسع فيها الخلاف، ووجدتهم من أولى الناس بصفات الطائفة المنصورة كما سيأتي ذلك، ووجدتهم من أحسن الجماعات الإسلامية أخلاقاً وشيماً، وأمثلة الجماعات الإسلامية في باب الأخوة في الله، ورأيتهم وغيرهم من المجاهدين خذلوا في أحلك الظروف وهم يواجهون أعتا قوة في العالم من أجل الإسلام، ووجدتهم هم الذين غضبوا الله وتبرؤوا من الطواغيت، وهم أولى الناس بملة أبينا إبراهيم، ولا أقول ذلك جُزافاً ولكن ستعلم ذلك عند التفصيل، وضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ولا أخفيك أني وجدتُ سعادةً في طريقهم ما لم أجد مثلها من قبل، فيا مشايخنا الكرام وإخواننا طلبة العلم اتقوا الله في إخوانكم فلا تخذلوهم.

ورفقاً رفقاً بالمجاهدين عامة والقاعدة خاصة، فإن تحذيركم منهم يصبُّ في صالح الطواغيت واليهود والنصارى من حيث لا تشعرون، وانظروا بنظرة عدل وتعاملوا مع أخطاء المجاهدين بالمنهج الشرعي، كما تجدونه في سورة البقرة في قصة سرية عبد الله بن جحش -رضي الله عنه-، وبالتعامل النبوي كما حدث ذلك في معركة أحد، ومع أسامة وخالد والصحابة -رضي الله عنهم- الذين أسلموا بعد الفتح عندما خرجوا إلى حنين، فإذا كانت القاعدة لها أخطاء فقد وجدتُ أخطاء للصحابة في الجهاد، فالخطأ يُنكر ولكن لا تهدم العمل كاملاً أو تُشنع أكثر من الحد الشرعي، وإذا كنتم تنقمون على القاعدة أخطاء، فلماذا لا تنقمون على أنفسكم قعودكم وتخاذلكم عن نصرته المجاهدين، ومساندة بعضكم للطواغيت، وعدم تربيتمكم الأمة على الجهاد، وعلى عدم قيامكم بالإعداد مع وجوبه؟ فاتقوا الله في إخوانكم، واعلموا أن نصرهم نصر للإسلام، وهزيمة المجاهدين تضر الإسلام.

وإني أعلم أن كثيراً من طلبة العلم المخالفين أخذوا كثيراً من هذه المسائل تقليداً، وقد اخترت منهج القاعدة

لأربعين سبباً، فأسأل الله التوفيق والإخلاص، وأن يجعل هذه الكتابة فاتحة خير لمريد الهدى والصواب. هذه الرسالة لم تتولد خطراتها بين عشية وضحاها، بل هي نتاج تأمل وتحريٍ للدليل، جاءت بعمق فكرة بعد نظرٍ طويلٍ وفكرٍ مستنير. فجدّ فالعمر قصير وإلى الله المصير، فلا يهولنك صعوبة الطريق فتقع في الملامة وتقاسي من ويلات الندامة، فالحق أبلج والباطل لجلج، ولا تكن ممن آثر منهج السلامة على سلامة المنهج.

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رِخَاءٌ

وهذه النقاط ليس أنها لا توجد إلا فيهم، ولكنها لا تجتمع إلا فيهم.

فيا أيها القارئ كن منصفاً ولا تستعجل بالانتقاد، بل اقرأ وتأمل واحذر ممن يقول ببعض القواعد نظرياً ويخالفها عملياً، كمثّل "الاستدلال ثم الاعتقاد"، والحق لا يُعرف بالرجال، ولكن الرجال يعرفون بالحق. وأقل ما يمكن إذا لم تقتنع بهذه الأربعين فعلى الأقل راجع نفسك إذا كنت ذا نظرة مشؤومة نحو القاعدة فخفف الهجوم، واعلم أن القوم على ثغرة عظيمة، وأن عندهم أدلة فيما هم عليه ما ليس عند غيرهم. فيا أصحاب السهام الموجهة للقاعدة: أن الأوان أن تقرؤوا في هذه الورقات، وأن تدركوا أن أعداء الإسلام هم أول من يستفيد من الطعن في إخوانكم المجاهدين، واحذروا من خداع الأيدي الخفية ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أخوكم طالب العلم النبوي: أبو مصعب العولقي

محمد عمير الكلوي العولقي

ذي الحجة ١٤٣٠ هـ

١- لأنهم سلكوا منهج الجهاد:

اخترت منهج القاعدة لأنهم سلكوا منهج الجهاد، والجهاد هو الوسيلة المنصوص عليها شرعاً في طرد الذل وعودة العزة للأمة، وكما تعلم أن الأمة الإسلامية تمر بمرحلة ضعف، وقد اختلفت الجماعات الإسلامية في كيفية الوصول إلى استرجاع الخلافة، فمنهم:

١ / من يرى العمل من خلال (حزب إسلامي)، يمارس الدعوة في حدود القوانين السائدة في المجتمع رافضاً لفكرة القتال.

٢ / ومنهم من يرى أن حكام اليوم حكام شرعيين مع كل مخالفتهم وكفرهم، ويرون السمع والطاعة لهم.

٣ / ومنهم من يرى التربية.

٤ / ومنهم من يرى العمل المؤسسي نشر الدعوة والجمعيات وهكذا.

وأما جماعة القاعدة فهم يرون أن المخرج من ذلك هو الجهاد في سبيل الله، وهذا هو الطريق الشرعي الذي نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" رواه أبو داود بإسناد حسن، فالجهاد هو العلاج كما قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخِزَّهُمْ وَيُنصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ويشمل الجهاد عندهم جهاد الحكام المرتدين من بني جلدتنا، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولا تنازعوا الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان" رواه البخاري ومسلم.

إذاً فلا نحتاج إلى تأويلات ولا إلى فلسفات في علاج هذا الأمر، وما علينا إلا أن نسلك طريق الجهاد حتى يذهب الذل عن الأمة، وتتخلص من الكفار الأصليين والمرتدين.

وكما تعلم رحمك الله أن القوانين الوضعية كفر، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فاليوم الدين ليس كله لله، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: [فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله] الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٤)

فيا أبا الإسلام: هل تحب لمن جاء فوق الدبابات الأمريكية في أفغانستان أن يكون من الإسلاميين، أو نسمح لمن يدعو العراقيين لترك الجهاد والمبادرة إلى صناديق الاقتراع؟.

أنسمح لمن لم يفرق بين الحكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام، والحكم بغير ما أنزل الله في القضايا المعينة؟ فيقيس حكام اليوم الذين بدلوا الشريعة ووالوا اليهود والنصارى وحاربوا الإسلام بحكام بني

أمية، وبني العباس الذين كانوا يحكمون بالشريعة المطهرة، ويجيشون الجيوش للجهاد في سبيل الله مع بعض مخالقاتهم التي هي قضايا أعيان؟.

إذاً فالقاعدة سلكت منهج الجهاد، ومن سلك منهج الجهاد فلا يضره من خذله ولا من خالفه، وإذا كنت في حيرة من أمرك فدع عنك هذه الحيرة وقف عند هذه النصوص متأماً متبعاً معظماً، ودعك من آراء الرجال وإن زخرفوا لك القول، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

فإن قال قائل: نقاتل إذا كان القتال له جدوى وفيه كف بأس الكفار، وأما إذا لم يكن فيه كف بأس الكفار فلا نقاتل. نقول: من الذي يحدد هل القتال اليوم فيه كف بأس الذين كفروا أم لا؟

الجواب: هم المجاهدون؛ لأنهم أخبر الناس بالمعركة، وهم الذين نزلوا في الميدان وعرفوا حقيقة العدو، بخلاف الذين يقدرون قوة العدو ولم يدخلوا المعركة، بل ربما انخدع بالهالة الإعلامية الكاذبة في تضخيم العدو، فعلى العلماء استشارة المجاهدين في هذا الأمر؛ لأنهم أهل الشأن، فكما أن العلماء إذا تكلموا في مسائل في الطب أو غيره استشاروا أهل الاختصاص، فعليهم استشارة المجاهدين في الجهاد، والواقع اليوم يثبت صحة ما ذهب إليه المجاهدون، فنراهم يحققون الانتصارات في أفغانستان والعراق وغيرها، ونرى قوة الكفر تندحر فله الفضل والمنة.

٢- لأنه لا يضرهم من خذلهم:

"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" رواه مسلم.

فانظر رحمك الله، هل هذا الحديث ينطبق على من واجه الكفر من اليهود والنصارى والمرتدين، وأعلن البراءة منهم وجعل بينه وبينهم السيف، فينال منهم وينالون منه؟

هل هذا الحديث ينطبق على من قام وأعلن الجهاد، عندما رأى المساجد تهدم، والمصاحف تمزق، والأعراض تنتهك، ويرى العلوج والرافضة يدوسون الكرامة، ويرى الكفر اعتلى على الإسلام؟

هل هذا الحديث ينطبق عليهم عندما سمعوا صيحات نساء المسلمين المغتصابات، اللاتي داس كرامتهن الرافضة وعباد الصليب، وقالوا: [والله لن يهنأ لنا عيش، ولن يغمض لنا جفن، ولن يغمد لنا سيف، حتى نثار لعرضكن] وأتبعوا قولهم فعلهم أم لا؟

فيا ترى: هل صفات الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله تنطبق عليهم؟ أم تنطبق على الذين يرون عدم مشروعية القتال في العراق، ويرونه قتال فتنة؟ وهل تنطبق أوصاف الطائفة المنصورة على الذين خذلوا المجاهدين وقعدوا في بيوتهم على رغد الدنيا؟ وعلى الذين سلقوا المجاهدين

بالسنةِ حدادٍ؟ فتراهم يتصيدون لأخطائهم فينشرونها، ويغضون الطرف عن عظيم محاسنهم؟. فحتى تعرف على من ينطبق الحديث، فالأمر لا يكلفك مزيد بحث، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يضرهم من خذلهم"، فمن الذي خذل: هل هو المواجه المجاهد للكفر، أم القاعد في بيته؟ الحكم للقارئ. وإذا اعتقدت أن المجاهدين أولى الناس بصفات الطائفة المنصورة فلا حرج، فقد قال شيخ الإسلام بأنهم في زمانه أهل الجهاد في الشام.

وأقول لبعض الجماعات الإسلامية الذين يُخطئون القاعدة وغيرهم من المجاهدين: أين المجاهدون الذين يسرون على طريقكم ويسلكون نهجكم؟ فلن يستطيعوا تحديد مجاهدين يسرون على منهجهم في أي مكان من أماكن الجهاد، فكيف لا يكون لكم جهاد والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الجهاد مستمر؟ أم ماذا تقولون؟ أما أن لكم أن تراجعوا حساباتكم، وتغيروا نظرتكم نحو المجاهدين الذين هم عز الأمة، الذين أكرمهم الله بذروة سنام الإسلام.

٣- لأنه ينطبق عليهم وعلى غيرهم من المجاهدين أيضاً وصف الطائفة المنصورة بأنها تقاتل على الحق:

عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تزال عصاة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك" رواه مسلم، هذا الحديث النبوي الذي بين صفة جليلة من صفاتهم وهي القتال على الحق، وإذا نظرنا اليوم نجدهم من أقوى جماعات الجهاد المقاتلة على الحق؛ ودليل ذلك قتالهم في أفغانستان، وباكستان، والعراق، والصومال الشباب المجاهدين، وكذلك قتالهم للحكام المرتدين في الجزيرة، وبلاد المغرب الإسلامي فهذه الرواية صريحة، والمجاهدون هم أسعد الناس بهذا الوصف، فهذا الحديث لا ينطبق على الذين تركوا الجهاد وتناسوه، بل بعضهم يزهد فيه وينشر اليأس بعدم جدواه في هذه الفترة.

ومن لطيف الفائدة أن هذه الرواية لا تهتم بنشرها بعض الجماعات الإسلامية، ويغض الطرف عنها بعض المشايخ، فكم سمعنا من بعض المشايخ رواية: "لا تزال طائفة... ولكنهم لا يذكرون رواية "يقاتلون" وكأنها ليست في صحيح مسلم.

وكنت ذات مرة أدرس في مركز من مراكز العلم في شمال اليمن، فقال لي أحد إخواني طلبة العلم بعد أن فتح صحيح مسلم وأراني هذه الرواية فقال: لماذا مشايخنا لا يذكرون هذه الرواية؟.

إذاً أخي المحب: هذا وصف دقيق لا يستطيع أن يدعيه إلا أهله، ومن رحمة الله أن الله جعل رسوله صلى الله عليه وسلم يقول: "يقاتلون" التي لا تحتاج إلى تأويل، ولو جاءت رواية [يجاهدون] لذهب البعض إلى تأويلها، ومع ذلك فقد أراد بعض الأتباع تأويلها بمعنى آخر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك أن أحد الإخوة

لنا في القاعدة أخبرني أنه تناقش مع شخص آخر من جماعه أخرى فقال الأخ: نحن الذين على الحق؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "يقاتلون". فقال الأخ الآخر: بمعنى يقاتلون "يدعون". فقال له الأخ من القاعدة: لو أتيت لي بأن معنى يقاتلون في اللغة بمعنى "يدعون" فسوف أترك منهج القاعدة. فانظر رعاك الله إليهم كيف يحرفون النصوص؛ لأنهم لا تسعفهم معانيها وظواهرها، إذاً فهذا الطريق طريق الحق، فلا يضررك صعوبته؛ فالقتال قدر الطائفة المنصورة.

٤- لأنهم غرباء:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء" رواه ابن ماجه، وقال الألباني صحيح.

فهذا الوصف النبوي لأهل الحق بأنهم في غربة، ولا شك بأن الذي يعيش خائفاً على نفسه من الموت لأجل عقيدته وجهاده هو الذي يعيش في غربة، يعيش في غربة؛ لاتهامه بأن عقيدته مدخولة وليس ذلك إلا لثباته على الحق في زمن قل فيه النصير، إنه هو الغريب.

يعيش وهو خائف فهاتفه مراقب، ويخشى أن تكون سيارته ملغومة، ولا يستطيع أن يتنقل بين أرجاء البلاد بحرية، فالحاكم يترصد له، وقبيلته كثيرٌ منهم أعداءً له، بل ربما وجد العداوة من أسرته، فبئسهم بأن عقيدته منحرفة أو بأنه سيخرب الأمن، وسيكون فاتحاً لباب الشر، أو أنه متسرع إلى غير ذلك من سيل الأوصاف الظلمة، ولا شك أن ذلك الرجل يصدق عليه وصف الغربة.

أما من سكت عن جرم اليهود والنصارى والطواغيت، بل قال بأن الطواغيت هم حكامه الذين يحرم الخروج عليهم، ولم يخف ربما يوماً في سبيل الله، وهو آمن من الطواغيت يتجول في كل مدينة، ولم يتضرر اقتصاده، فهذا لا ينطبق عليه الوصف النبوي بأنه غريب.

فكيف نقول بأن هذا الشخص غريب وهو لا يعرف للغربة باباً، بل ربما أنه مبجل من قبل الطواغيت، مهياً له أمور ربما لا تأتي لغيره، فبعض الدعاة تصرف له الكفالة والسيارة ولا يعرف أذى ولا سجنًا ولا متابعة، بينما غيره مطارذ فارق أبناءه، وآبائه، وزوجته، وبلاده، ورغد العيش من أجل الإسلام!! فشتان بين هذا وهذا.

وليس هذا غلواً أو تشدداً، بل نحن نقول: إننا في زمنٍ هجم اليهود والنصارى على بلاد الإسلام، وساندهم الطواغيت ودعموهم بالبترول، والمواد الغذائية، والاستخبارات، وأمنوا لهم الطرق البحرية، والبرية، والجوية، ومنعوا المجاهدين من قتالهم، ونحن في زمنٍ بدلوا شريعة الله بالقوانين الوضعية الكافرة، فمن أنكر كل ما ذكر فسوف يعيش في غربة، ومن دافع عنهم أو سكت فليس من أهل الغربة وإن كانت له أعمال أخرى محمودة لخدمة الإسلام؛ لأنهم وغيرهم من المجاهدين أولى الناس بحديث "القابضون على

الجمر".

فانظر رحمك الله بنظرة عدل وإنصاف للجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة، فسترى من هم أقرب إلى هذا الوصف النبوي، فهذا الحديث معاضد لحديث الغربية.

فهؤلاء المجاهدون قوي عدوهم وقل ناصرهم، فعدوهم اليهود، والنصارى، والطواغيت وأذئابهم، وعلماء السلطان، ولم يسلموا من بعض العلماء الصادقين في بعض الاجتهادات الخاطئة، ووقف معهم بعض العلماء الصادقين وأهل الفطرة من المؤمنين مع أن كثيراً من المؤمنين أهل الفطرة ينظرون بنظرة خاطئة نحو المجاهدين؛ وذلك للتشويه الإعلامي التابع لليهود والنصارى والمنافقين وعلماء السلاطين، فطالما حملوهم أشياء هم منها أبرياء، وكتموا انتصارات المجاهدين وأخفوا إخفاقات عدوهم، وهذا التشويه الإعلامي قد انطلى على بعض الصادقين وذلك يحتاج إلى بحث آخر، فانظر رعاك الله إلى ذلك المجاهد الذي بذل ماله وحياته في سبيل الله، فقام الله عندما رأى حرمة الله تنتهك وحدوده يعتدى عليها، فنذر نفسه الله وفارق ملذات الدنيا، فبعد الأمن خوف، والغناء فقر، والتجول في أرض الله حصار، ومع ذلك زاد الاتهام نحوه بأن عقيدته مدخولة، وبأنه لا يقدر المصالح والمفاسد، وأنه جلب شراً للأمة، أليس ذلك أقرب من غيره بأنه قابض على الجمرة، بسبب قبضه على دينه؟ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

إن المجاهدين اليوم أهل ابتلاء، وبقينا أن صاحب الحق اليوم لا بد أن يتعرض للابتلاء؛ لأننا في زمن الغلبة لأعداء الملة من اليهود والنصارى وعملائهم من المنافقين الذين يحكمون البلاد الإسلامية، فبإذن الله عليك كيف يسلم صاحب الحق الذي ينكر الباطل بيده ولسانه منهم؛ لأن من كان على هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم في زمن غلبة الكفار، فلا بد أن يتعرض لعظيم الأذى منهم، فإما من لم يعرف الابتلاء، وهو يزعم أنه من أهل الطائفة المنصورة نقول: إما أن تكون على هدي محمد عليه الصلاة والسلام فلا بد أن تتعرض للأذى؛ كما تعرض له نبيك في زمن غلبة الكفار، وإما أن لا تتعرض للابتلاء فراجع منهجك وانظر في طريقك، واعلم أن أي جماعة لا تتعرض للابتلاء فلترجع حساباتها، كما قال سيد قطب رحمه الله.

٥- لأنهم أسعد الناس بملة إبراهيم:

اعلم رعاك الله أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بإتباع ملة إبراهيم فقال: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، فالسفيه من خالف ملة إبراهيم، فالؤمن يتبعاً للنصوص الشرعية، وإذا تعارضت مع عقله فليتهم عقله؛ فلسنا بحاجة إلى سياسات خرقاء، ولا إلى عقول جوفاء، وقلت بأن القاعدة أسعد الناس بملة إبراهيم، فتعال معي أخي في الله نستعرض كلام الله حول ملة إبراهيم، وطبقه على الواقع وعند ذلك ستعلم حقيقة ما قلت.

فإياك من التسرع في رفض هذا العنوان، فلنأخذ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤]، فلنا الأسوة الحسنة في إبراهيم عليه الصلاة والسلام والمؤمنين معه، عندما كانوا في مرحلة الضعف فأعلنوا البراءة منهم ومن عبادتهم، وهذا إعلان البراءة من العابدين قبل المعبودات كما قال بعض العلماء؛ وذلك لأن الإنسان قد يتبرأ من العبادة ولا يتبرأ من العابدين لمصالح، فلا يكون محققاً ملة إبراهيم حتى يتبرأ من العابدين، ولم يكتف بإعلان البراءة بل زاد قوله [كَفَرْنَا بِكُمْ] حتى تتضح المفاصلة بين أولياء الله وأعداء الله ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ﴾، وتقديم العداوة على البغضاء؛ لأن العداوة ظاهرة، وهذه العداوة مستمرة حتى يؤمنوا بالله وحده، فانظر رعاك الله كيف تنطبق هذه الملة على جماعة القاعدة.

٦- ملة إبراهيم إعلان البراءة من الكافرين:

والقاعدة من أقوى الجماعات الإسلامية من حيث إعلانها البراءة من الكافرين، سواء الكافر الأصلي أو الكافر المرتد، ومن العجب من يصرح بكفر القوانين الوضعية وينقل إجماع أهل السنة على أنها كفر، ولكنه لا يتبرأ من أهلها مع أن هذه القوانين الوضعية موجودة بصورة واضحة في دساتير هذه الأنظمة بالرقم والصفحة، فكيف تكفرون بالكفر ولا تكفرون بأهله؟ فلعلكم تقولون لم تقم عليهم الحجة، فهل تقام الحجة في المسائل الظاهرة أو في المسائل الخفية؟ يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (وإنما قال ذلك في المقالات الخفية كما قدمنا من قوله، وهذا إن كان في المقالات الخفية) وما معنى إقامة الحجة؟ فاسمع لكلام شيخ الإسلام في إقامة الحجة قال رحمه الله في الرد على المنطقيين ص (٩٩): [حجة الله برسله قامت بالتمكن من العلم، فليس من شرط حجة الله تعالى علم المدعويين بها، ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعاً من قيام حجة الله تعالى عليهم، وكذلك إعراضهم عن استماع المنقول عن الأنبياء وقراءة الآثار الماثورة عنهم لا يمنع الحجة إذ المكنة حاصلة].

بعد هذا انظر للقانون الكويتي المادة الأولى من القانون المدني الكويتي: [إذا لم يوجد نص تشريعي - أي في قانونهم - حكم القاضي بمقتضى العرف، فإن لم يوجد عرف اجتهد القاضي رأيه مستهدياً بأحكام الفقه الإسلامي، اتفاقاً مع واقع البلاد ومصالحها]، انظر كتاب (كشف النقاب عن شريعة الغاب)، فبعد هذا كله هل تتردد في تكفير المشرع والحاكم بهذه القوانين؟.

ملة إبراهيم إعلان العداوة والبغضاء للكافرين، والقاعدة هي أشد عداءً لليهود والنصارى وزمرة المنافقين، بخلاف من يراهم كفاراً ولكنه يكتم عقيدته بحجة ضعفه، فيقال لماذا تكتم البراءة من الطواغيت بهذه الحجة، وأنت في مرحلة هي أقوى من المرحلة المكية التي جهر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلب الدعوة في مكة؟ فإما أنك لم تستطع تحمُّل الابتلاء وذلك ضعف، أو أنك تزعم المصالح والمفاسد فلا عبرة بمصالح

ومفاسد مخالفة لملة إبراهيم التي سار عليها عليه الصلاة والسلام، فلا بد من التفرقة بين الأمرين:

أ- الشيء الذي لا بد من الجهر به وإن كنا في مرحلة ضعف^١: وهو الجهر بصلب الدعوة قول لا إله إلا الله والكفر بما يعبد من دون الله، ومن ذلك القوانين الوضعية، والديمقراطية، ومظاهرة الكفار، وحراسة الشرك، والبراءة من أهلها.

ب- الشيء الذي لا بد من السرية به: وهو بعض اللقاءات والاجتماعات وما تقتضيه الحاجة من الأسرار والإعداد والأفراد وغيرها مما هو على نحوها، القاعدة اتبعت لملة إبراهيم في إعلان البراءة من الطواغيت، وكتمت أعمالها السرية الذي يقتضيها المقام، وأيهما أسعد بملة إبراهيم: القاعدة، أو من عرف كفر الطواغيت وداهنهم؟ وفي ظاهر الأمر عند الناس يقول: بأنهم لم يكفروا لا زالوا على الإسلام، وعند أخص الخواص له يقول: هؤلاء الحكام لم يظهروا إسلاماً ولم يبطنوا كفرةً أي أنهم كفار جهاراً وليسوا منافقين!؟.

وهل ملة إبراهيم الطعن في أسامة بن لادن ظاهراً وباطناً يرى أن له مشروعاً عظيماً؟ ملة إبراهيم إعلان العداوة والبغضاء للكافرين.

والقاعدة قالت للكافرين سواء الأصليين أو للمرتدين: كفرنا بكم، بينما كثير من الجماعات الإسلامية جاملت المرتدين أو تركت ذلك باسم المصالح والمفاسد، وبعضهم يرى هؤلاء المرتدين ليسوا مرتدين ويراهم حكامنا الشرعيين الذين تلزمتنا طاعتهم مع العلم أنهم ظاهروا المشركين بأشد أنواع المظاهرة عبر التاريخ الإسلامي، ومع ذلك ترى بعض الجماعات الإسلامية ترى أن بعض الحكام في بعض الأقطار يحكمون بالشرعية، فهل تحكيم الشريعة موالاة اليهود والنصارى، وإقامة الحد على الضعيف دون القوي، والتستر على القوانين الوضعية، وحرب المجاهدين ومحاولة القضاء على أي تيار تشم منه رائحة جهادية؟ أم المسألة طمس على البصائر؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

القاعدة أعلنت الحرب ضد اليهود والنصارى وعملائهم من المرتدين، وبينت مشروعها الطويل لاستعادة الخلافة الإسلامية من الصين شرقاً حتى الأندلس غرباً، بل إن الأمر سوف يستمر على قدر الاستطاعة حتى تفتح بلاد الكفار، فمن أعلن ذلك هو أولى بملة إبراهيم من ممثل الإخوان المسلمين في مصر عندما أعلن لأوباما عندما زار مصر بأن الإخوان المسلمين إذا حكموا سوف يرعون المصالح الأمريكية، وليس هناك عداوة ظاهرة مثل عداوة القاعدة للكافرين، فقد يقول قائل: هناك من المسلمين من أظهر العداوة للكافرين غير القاعدة؟ فنقول: نعم، لكن هل وصل إظهار العداوة والبراءة منهم مثل عداوة وبراءة القاعدة؟ الجواب: لا، والعدو من الأمريكان يشهد بأن أشد ما يعادون من المسلمين هم القاعدة، وقد صرح بذلك أوباما في خطابه الأخير للمسلمين من مصر، وكذلك الحكام المرتدين أشد ما يعادون ويخافون من طوائف المسلمين القاعدة، والحق ما شهدت به الأعداء.

وملة أبينا إبراهيم عليه السلام إظهار العداوة والبغضاء للكافرين أبداً حتى يؤمنوا بالله وحده، فلو نظرنا

١- أي ضعف أقوى من مرحلة الثلاث السنوات السرية في مكة.

إلى منهج الإخوان المسلمين عندما قاموا لاستعادة الخلافة، كان برنامجهم تبني الجهاد فيه واضح ثم تنازلوا عنه تدريجياً، ثم لو نظرنا لمنهج الذين يقال لهم (السرورية) وهم من أهل السنة المحررين لتأصيل هذه المسائل، فقبل فترة من الزمن كان ظاهرة الجهاد واضحة وتنزيل الأحكام على الطواغيت، ثم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كيف تغيرت نظرة بعضهم وليس كلهم، أما القاعدة فمنذ بدأت إلى اليوم وهي تقول للكفار: كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده، فنسأل لنا الثبات على ذلك، وإلا فإن من انحرف عن طريق الجهاد فإن الله يقول: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

فاعلم أيها المسلم: أن تحقيق ملة إبراهيم لا يتأتى في هذا الزمن إلا بدفع الثمن غالياً، وتوطين النفس على تحمل الأذى، ومن لم يتعرض للأذى لن يحقق ملة إبراهيم.

واعلم أن بعضهم يتخلى عن هذا الأمر، فيكتم الإعلان بملة إبراهيم عليه السلام بحجة عدم القدرة على التغيير، فنقول له عندنا أمران: -

أ / القدرة على البيان. ب / القدرة على التغيير.

فإذا استطعنا البيان فيجب البيان ولا نربطه بالقدرة على التغيير، فهذه عبادة مستقلة عن تلك كما هو واضح من ملة إبراهيم ومن هدي محمد عليه الصلاة والسلام، الذي أعلن البراءة والكفر من الكافرين وعبادتهم مع عدم قدرته على التغيير، وأعلن أن القدرة على التغيير لن تأتي إلا بعد البيان، وأن البيان له ثمن لا بد أن يدفعه أهل ملة إبراهيم، وما خبر سمية -رضي الله عنها- وزوجها ياسر وغيرهم من الصحابة عنك ببعيد.

٧- لأنهم يأخذون بالسنن الشرعية والكونية في تحقيق النصر:

إن تحقيق النصر بطرد المستعمر والمترد باستعادة حكم الله في الأرض، وتحقيق الغاية التي من أجلها أنزل الله القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١٠٥]، إن تحقيق كل ذلك لا بد له من مراعاة السنن الشرعية والسنن الكونية، فلا بد من حجة وبيان، وسيف وسانان.

فأما اتباعهم للسنن الشرعية: فجهادهم قام على العلم الشرعي من حيث مشروعيته وفضله وإحيائه في قلوب الناس، فامتثلوا لأوامر الله بالنفير للجهاد في زمن كثر فيه المخدّلون والمخالفون، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

فنرى أن القضاة والمسؤولين الشرعيين يذهبون للجهاد، واعلم أن من يسلك منهج الجهاد عملاً يكون عنده من العلم بأحكامه ما ليس عند كثير ممن هو من أهل العلم ممن لم يتشرفوا بطريق الجهاد، وقد سمعت

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله يذكر استفادته من الشيخ أسامة في بعض المسائل العلمية في الجهاد مع الفارق بين علمهما في الجملة، وقد أخبرني بعض أهل العلم أنه بعد سلوكه منهج المجاهدين أن الله فتح له من العلم والمعرفة في أحكام الجهاد ما لم يكن يعرفه من قبل، حتى ولو قد مرت عليه هذه المسائل.

إذاً فهم بفضل الله منضبطون بأحكام الجهاد، سواء الحرب، أو السلم، أو الغنائم، أو الأمن وقد يحصل الخطأ، وقد حصل كما أسلفنا من بعض الصحابة.

وأما أخذهم للسنن الكونية: فهي أن قيام الدول والتمكين لا يكون إلا من خلال القوة وسنة التدافع، حتى الدول الديمقراطية قامت بعد حروب أكلت الأخضر واليابس.

واعلم أن هذه السنة الكونية وهي اتخاذ القوة لم تنخرم، حتى أن رسول الله صل الله عليه وسلم أخذ بها فأقام دولته الإسلامية في المدينة بالأنصار والمهاجرين المسلحين.

وأما [منهج جماعات كف الأيدي يتجنب جمع الأنصار المسلحين؛ بحجة أن ذلك سيؤلب عليهم الأنظمة الطاغوتية، مما يعرض مكتسبات دعوتهم للخطر "زعموا"!!] ويتجنب الهجرة إلى بلاد أو أرض أو جبال بها أنصار وتؤمن التدريب على الجهاد؛ حتى لا يُتهموا أنهم يسعون لتقويض دولة الطواغيت!! وتحت حجة أنهم لا يريدون أن يفرغوا الديار من الدعاة "زعموا" وهم بذلك خالفوا السنة الشرعية بالمرحلة المكية التي هي سنة كونية أيضاً] انظر كتاب إدارة التوحش ص(٩٨).

فاعلم رعاك الله أن الذي يريد النصر وهو مقتصر على جانب العلم والتربية فقط فلن يحققه؛ لأنه خالف سنة القوة والدفع وهي سنة شرعية وكونية أيضاً.

كذلك لن يحقق النصر من أراد إقامة دولة الإسلام بصناديق الاقتراع، والواقع خير شاهد على ذلك؛ لأن ذلك خلاف السنة الكونية فتنبه.

فلماذا نترك الطريق النبوي المنصوص عليه وهو الجهاد؟ فقد يقول قائل: نتركه لأننا ضعفاء. فنقول: فالضعف ليس مسوغاً لترك العلاج النبوي بل لا بد من البحث عن الأسباب لتقويته؛ لأننا لا ننتصر بغيره، فمن أراد أن يحكم الكتاب والسنة فلا بد له من هذين الأمرين: الحجة والتبيان والسيف والسنان، قرآن يهدي وسيف ينصر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَفَىٰ بَرِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، فإذا أردنا الاقتصار على جانب العلم والتربية فحسب فلن نستطيع تحكيم الشريعة؛ لأننا خالفنا السنة الكونية التي هي أيضاً هي سنة شرعية وهي اتخاذ القوة، وإذا سلكتنا مسلك الجهاد بدون الحجة والتبيان فسوف نضل في استخدامنا للقوة في غير محلها، فلا بد من الأمرين.

٨- لأنهم أشد جماعة من جماعات الإسلام كرهاً وبغضاً عند اليهود والنصارى والمنافقين:

سألت نفسي: ما هي أشد جماعة من جماعات المسلمين كرهاً عند اليهود والنصارى والمنافقين؟ فوجدت الجواب المنصف: إنهم القاعدة. وهذا جواب يعترف به كل ذي عقل سليم، ثم سألت نفسي لماذا؟ فوجدت الجواب: لأنهم على الحق.

لأنهم امتثلوا الأوامر الشرعية في الغلظة على الكفار المعتدين، مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، فالذي لم يتنازل ولم يساوم ولم يداهن بعقيدة وكان شوكة في حلق الطغاة سوف يكرهونه أشد الكره، بخلاف الذي سلك العملية الديمقراطية من المجاهدين وتنازل عن شيء من عقيدته كبعض الأمور في الولاء والبراء، كمن يزعم أن المنافقين الذين بان نفاقهم يقول: بأنهم إخوانه وهم يعلمون نفاقهم، وإنما قال ذلك لتقديمه المصلحة السياسية على الأدلة الشرعية، فمن داهن الكفار فسوف يداهنونه، كما قال الله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، فمن صرح بعقيدة الولاء والبراء وترك المداهنة فسوف يكرهونه أشد الكره، وما تشويه القاعدة في وسائل إعلام اليهود والنصارى والمنافقين عنك ببعيد.

وإنني أعتقد أن اليهود يفضلون حركة جهادية غير القاعدة في فلسطين، إنني أعلم أنه سوف تقض مضاجعهم من بدايات وجود القاعدة في غزة، ولا يعني أنني أتنقص من جهاد حماس في غزة، ولكن الأعداء يفرقون بين الحركات الجهادية لما سبق.

وهنا وقفة إيمانية:

وهي خطاب لبعض المسلمين الذين يكرهون القاعدة كرهاً أكثر من الجماعات الإسلامية، سواء كان هؤلاء المسلمون من عوام أو أشباه العوام أو بعض طلبة العلم بل ربما بعض العلماء فنقول لهم: لقد اتفقت مع الأمريكان وأعاونهم على هذه المسألة، فأمریکا تبغض القاعدة أشد بغضا من بين الجماعات الإسلامية؟ وأنتم تبغضون إخوانكم في القاعدة أشد من بغضكم الجماعات الإسلامية؟ أفلا تعقلون.

هلا سألتم أنفسكم: لماذا اتفقت مع الأعداء على هذه المسألة، مع أن الأمريكان عدوكم؟

هل من عودة صادقة حتى تنظروا أولاً: لماذا تنقمون على القاعدة؟ هل من عودة حتى تنظروا؛ هل عند القاعدة أصول خالفت فيها صحيح منهج أهل السنة والجماعة؟ وبفضل الله لن تجدوا ذلك؛ فهم سائرون على منهج أهل السنة في هذه المسائل، مثل اعتقاد أهل السنة بكفر من حكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام، وكفر من ظاهر الكفار على المسلمين وغيرها من المسائل، لماذا يسمع بعضكم لإعلام العدو ولا يسمع لإعلام المجاهدين؟ بل ويحاربون نشر سيديها وأشرطة المجاهدين، فبالله عليك أخي المؤمن؛ لو استشعرت الأمريكان ينظرون إليك وأنت تحارب نشر أشرطة المجاهدين، واسأل نفسك هل سيفرحهم

ذلك العمل أم لا؟ وتخيل المسلمون الذي فقدوا أبناءهم وآباءهم والنساء المغتصابات اللاتي ينادين المسلمين "وامعتصماه"!! تخيلهم ينظرون إليك وأنت تحارب أشرطة المجاهدين هل سيفرحهم ذلك العمل؟ الجواب عند المنصفين المتقين، أين الإنصاف؟ إنه عزيز.

قال الشاعر:

ورأيت أمتنا يقطع بعضها بعضاً ولا صوت الصلاح ينادي
فمضيت لا ألوي ولا أبدي أسا وتعاف نفسي مرقدي ووسادي
روحي على كفي وأحمل مدفعي ويطيب لي حين الوغى إنشادي
أنا لا ألين ولا تهدُّ عزيمتي بالقتل بالتعذيب بالإبعاد

الميعاد عند الله الذي يقول: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

٩- لاهتمامهم بجانب الأخوة في الله:

نظرت في سيرة محمد عليه الصلاة والسلام وعلمت أنه لم يشرع له الجهاد إلا بعد تحقيق الأخوة في الله بين أصحابه، وحتى ضربوا أروع الأمثلة في الأخوة في الله، فعندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان من أوائل الأعمال التي قام بها هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، قال الشيخ المباركفوري رحمه الله: [وكما قام النبي صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد مركز التجمع والتآلف، قام بعمل آخر من أروع ما يآثره التاريخ وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعت بدر، فلما أنزل الله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ رد التوارث دون عقد الأخوة] (الرحيق المختوم ١٤٤)، وروى أبو هريرة قال: "قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخل. قال: لا فقالوا: فتكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا" رواه البخاري.

ولما نظرت إلى الجماعات الإسلامية في باب الأخوة في الله وجدت جماعتين هي أفضل الجماعات الإسلامية في هذا الباب وهي جماعة التبليغ وجماعة القاعدة، وعندما عملت مقارنة بين الجماعتين وجدت القاعدة أفضل؛ لأن القاعدة وصلت كما جاء عنهم في باب المعارك أنهم يتفادون بالأرواح، فربما يأمر الأمير أصحابه بالانسحاب وهو يقوم بالتغطية والدفاع عنهم؛ حتى يُقتل وينجو أصحابه، وربما في بعض المعارك يأمر الأمير بالانسحاب وهو يحمي ظهورهم فيعصيه بعض الجند لا حياءً في المخالفة ولكن لأنهم يتفادون بالأرواح، فسبحان الله هذه قصص لا تكاد تسمع بها إلا في خواص الأمة المجاهدة عبر تاريخها، وقد عاشرت بعض

الجماعات الإسلامية فلم أجد اهتماماً بباب الأخوة في الله مثل ما وجدت عند القاعدة، لقد كنت في المراكز العلمية مع ما فيها من خير وعلم لكن المنصف يلاحظ ضعفاً في باب الأخوة في الله عند كثير من الإخوة طلبة العلم، فعندما نقرأ السيرة وننظر إلى حال كثير من طلبة العلم نجد فارقاً بيننا، وكنت أعاني من هذا الفراغ لمدة سنوات، وعندما بدأت التواصل مع القاعدة وجدتهم يختلفون كثيراً عن غيرهم، فتجدهم أكرم وأشد محبة فيما بينهم، بل ويحبون غيرهم بشرط أن يحيي روح الجهاد، وألا ينصب العدا.

اعلم يا من تنشد النصر: أن أي جماعة لم تحقق جانب الأخوة في الله لن تستطيع النصر؛ لأن هذا خلاف هدي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لأن هديهم كما عرفت قبل بدء المعارك كانوا على جانب عظيم من الأخوة في الله:

أخوثة يسير بحسن حاله وقد لا تدنيه من القرابة
أحب إليّ من ألفي قريب تببت صدوره لي مسترابة

فكيف تريد جماعة تحقيق نصر وهم يبخلون فيما بينهم؟ وترى ضعف ظاهرة الإيثار فيما بينهم؟ ويأخذون أشهر لا يتزاورون ولا يتواصلون، وبعضهم قريب من بعض إلا القليل منهم.

وقفة إيمانية:

كنت ذات مرة ذاهباً إلى طلب العلم عند شيخ من مشايخ اليمن، وصادفت طلاباً للعلم أتوا من عدن يريدون الذهاب إلى ذلك الشيخ، وكان صاحب السيارة الذي يشتغل بنقل الطلاب من أكبر طلبة العلم في ذلك المركز حتى أنه أحياناً ينوب الشيخ في حال غيابه، فقام الطلبة فحملوا متاعهم وكتبهم فوق سيارة ذلك الطالب، ثم كلمهم على الأجرة فكان معهم في الأجرة نقص قليل منها فرفض ركوبهم، وأنزلوا متاعهم وكتبهم وذهبوا يبحثون عن سيارة أخرى، فانظر رحمك الله لهذه النوعية! ولو كانت هذه القضية حادثة عين على خلاف المعهود لما ذكرتها، ولكن جانب الأخوة عندهم فيه ضعف ملحوظ.

ولا يعني ذلك أنه لا يوجد فيهم من يقوم بحق الأخوة فحاشاهم، ولكن جماعة الجهاد أفضل بكثير من الجماعات الأخرى في تحقيق الأخوة، والسبب في ذلك؛ أنهم بفضل الله وفقهم الله للعمل بباب الأخوة في الله، وذلك لأن هذا الطريق غالباً لا يسلكه إلا الشجعان، وغالباً يكون الشجاع كريماً متصفاً بالشيم.

وأيضاً كلما خاف الإخوة المجاهدون من أعدائهم زادت المحبة والإيثار بينهم.

وهنا وقفة لطيفة:

وهي بأنني كنت أنا وبعض الشباب منضمين إلى جماعة ما، ثم وفقنا الله بالانضمام للمجاهدين، فتغير الأمر، والله لقد كانت أخوتنا شبه ضعيفة فزادت، والإيثار يكاد لا يوجد ثم وجد، والتواصل نادراً فأصبح

التواصل مستمراً بيننا، وهم نفس الأشخاص؛ فتحسنت علاقتنا عندما انضمنا إلى القاعدة.

واعلم رحمك الله أن القاعدة حققت جانباً عظيماً من الأخوة في الله، وإني لم أحب أحداً مثلهم، ولم أعرف أناساً يحبونني مثلهم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه" رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث صحيح وصححه الألباني.

واهتمام القاعدة بأحوال إخوانهم المسلمين في أقطار العالم دال على اهتمامهم بالأخوة الإسلامية.

١٠- لأنهم يُعدّون العدة:

حتى تعرف أهمية هذا العنوان لابد لك من معرفة حكمه شرعاً، قال شيخ الإسلام: [يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب] (مجموع الفتاوى) (٢٨ / ٢٥٩).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (السياسة الشرعية) حكم هذه المسألة، عندما تكلم حول قاعدة - ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب - ومثل لهذه القاعدة بأن الجهاد واجب، وإذا لم تكن الاستطاعة للجهاد متوفرة وجب إعداد العدة؛ لأن الجهاد واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فأريد منك أخي القارئ استشعار هذا الأمر، وأن تدرك ما معنى واجب، أي أنك آثم على تركه:

١- الإعداد يكون بإعداد الجانب العقدي.

٢- الجانب البدني.

٣- السلاح.

٤- ومن خلال التجربة؛ الانطواء تحت جماعة تعدّ حتى يتيسر لك الإعداد، ومما زاد إعجابي بالقاعدة أنها فهمت معنى الإعداد شرعاً ونفذته عملاً، فرأيتها أفضل من غيرها من الجماعات في الإعداد، بل في حقيقة الأمر بعض الجماعات لا تعدّ، وبعض الجماعات عندها تفريط كبير في الإعداد.

وهناك من الجماعات كما ذكرنا لا تعدّ وعندها خلل في فهم الإعداد وذلك:

أولاً: يتوسعون في الإعداد العقدي؛ بحيث يمرّ عليهم العمر وهم يزعمون الإعداد، بل إن الجيل الذي يعدونه عقدياً لا يعتقدون أنه سيجاهد، بل بزعمهم سيربي أجيالاً من بعده تجاهد، فإذا كان الخلل في المربي فكيف بالطالب؟ فأقول: إن هؤلاء عندهم خلل في معرفة الإعداد شرعاً، ومن ذلك الخلل أنه حتى الإعداد العقدي الذي يزعمونه هم مقصرون فيه، وذلك أن الجهاد فرض عين ولا يعلمون طلابهم ذلك، وعندهم ضعف في الولاء والبراء، ودليل ذلك أنه حتى لو سلمنا بأن هؤلاء الحكام ليسوا طواغيتاً كفاراً؛ فيكونون فساقاً فجاراً، ومع ذلك تجد بعضهم؛ بل أكثرهم لا يبغضهم البغض الذي ينبغي، بل ويمدحونهم أحياناً ويدعون

الناس إلى إعادة انتخابهم، ويصفونهم بأنهم جنبوا البلاد الكوارث، وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه، وما إلى ذلك من العبارات، وهذه العبارات تصدر ممن نحسن الظن فيه وأنه ليس من علماء السلاطين، فإذا كان إعدادهم العقدي كذلك، فقل لي بربك متى سيخرجون جيلاً يأبى الذل وينشد العز ويعيد للأمة مجدها؟ وهم يعدون ذلك الإعداد وأيضاً يزرعون اليأس والإحباط في قلوب الشباب، ويضعفون الأمل في قلوبهم بأن تحكيم الشريعة لن يكون في زماننا، وقولهم ذلك بلسان الحال أو المقال، وتراهم كلما ذكر الإعداد والجهاد قالوا لا بد من الإعداد الإيماني، وكأنه لا يجاهد إلا العلماء وطلبة العلم، وهم لا يفهمون الهدى النبوي في ذلك كما سيأتي.

فإذا كان هذا خلل بعضهم في الجانب الذي يدعون إليه وهو الإعداد العقدي، فكيف إعدادهم في الجوانب الأخرى؟ الجوانب الأخرى قد صلوا عليها صلاة الغائب، حتى ارتسم عند بعض الناس بأن المستقيم لا يحمل السلاح، وبعض الجهلة كانت عنده فكرة بأن المستقيمين كما يسمونهم "المطاوعة" ضعفاء، وهذه الاتهامات باطلة، ولكن عندما تتأمل في سبب ذلك تجد أن لهذه الدعايات أسباب منها: مخالفة أوامر الشريعة بالإعداد والجهاد، وهي فكرة المرجئة، وحتى أن هذه الفكرة لم تتغير عند البعض حتى لو أن الجهاد ضد أمريكا وأعوانها، وصح المجاهدون هذه الفكرة الخاطئة عند المتدينين بعد أحداث ١١ سبتمبر.

إن أمر الإعداد عظيم، ومن ذلك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنيعته الخير والرامي به ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها، أو قال كفرها" (رواه أبو داود)، ومما يدل على أهمية الرمي أن بعض العلماء جعل من تعلم الرمي ثم نسيه رغبة عنه أنه ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

فيا أخي المحب أفهمت الأمر؟ بأن بعض الجماعات مفرطة في أمر واضح، فقد تقول: فما هو؟ أقول لك: الإعداد وبالذات الإعداد بالسلاح، فلماذا يتجاهلون الإعداد بالسلاح؟ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي (رواه مسلم).

فيا من لك قرابة خمس عشرة سنة أو أقل أو أكثر وأنت تعد نفسك عقدياً، أما أن لك الأوان أن تعد عدة السلاح؟ أم أن البلاد بخير؟ فهل البلاد تحكم بشرع الله؟ فهل الناس يأخذون حقوقهم؟ فهل بلاد المسلمين متحررة من اليهود والنصارى وغيرهم من الأعداء؟ ولو حصل كل ذلك فالإعداد باقٍ حتى نفتح بلاد الكفر، هكذا أحكام الإسلام، إننا نعاني من خلل في الفهم وخلل في العمل، أما القاعدة بفضل الله فقد فهمت المراد من الإعداد شرعاً، وقامت بما تستطيع به عملاً، فهم بفضل الله أفضل من غيرهم في الإعداد ومعرفته، وهذا أمر يخالف الوسطية بالمفهوم الأمريكي ومفهوم المنافقين، وإلى الله المشتكى وعليه التكلان والله المستعان.

١١ - لأنهم لم يقدموا صنم المصالح والمفاسد على الأدلة:

إن قاعدة المصالح والمفاسد قاعدة معتبرة مجمع عليها، ولكنها ضخمت في هذه الأزمان؛ وبسبب استعمالها في غير محلها عطلت كثير من أحكام الشريعة، فقبل الخوض في المصالح والمفاسد لابد من الاتفاق على الأصول، فإن كان المخالف يعترف بأن القوانين الوضعية كفر، وبأن مظاهر الكفار على المسلمين كفر فهذا موافق في الأصول نتناقش معه في التنزيل والمصالح والمفاسد، وإن كان المخالف لا يعتقد أن القوانين الوضعية كفر، وكذلك لا يعتقد أن موالاته ومظاهر الكفار على المسلمين كفر فنقول: خلافنا معك في الأصول فلا نقاش في التنزيلات ولا في المصالح ولا في المفاسد، وأما الموافق لنا في الأصول فنقول: إن استتباب الأمن ورغد العيش لمن يحكمون بالقوانين الوضعية هو المفسدة بعينه؛ لأنهم على الكفر ويعيشون بلا جهاد، والقتال ضد العدو ينال منك وتنال منه خير من استتباب الأمن له على الكفر فتأمل!!!.

وقد رأيت القاعدة تجاهد الحكام المرتدين وتعلن البراءة منهم، بينما البعض يراهم مرتدين ومع ذلك لم يعلن المنابذة والبراءة منهم؛ بحجة مصلحة الدعوة.

وبعض قاصري النظر يشنع على المجاهدين لأجل الدماء، وينسى أن الشرك موجود، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، فحقيقة أن هؤلاء لم يستشعروا المشكلة، فمشكلة عدم تحكيم الشريعة أعظم من أن تراق الدماء، وكما قال سليمان بن سحمان رحمه الله: [لئن يقتل أهل الحاضرة والبادية حتى يتفانوا أهون، ولا أن ينصبوا طاغوتاً يحكم بغير ما انزل الله].

ويقول سيد قطب رحمه الله: [ولقد تتحول مصلحة الدعوة إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة، وينسون معه منهج الدعوة الأصيل، إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها، ويتحروا هذا النهج دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوح لهم أن فيها خطراً على الدعوة وأصحابها، فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن النهج لسبب من الأسباب، سواء كان هذا الانحراف كثيراً أو قليلاً، والله أعرف منهم بالمصلحة وهم ليسوا بها مكلفين، إنما هم مكلفون بأمر واحد ألا ينحرفوا عن المنهج وألا يحددوا عن الطريق] ١٠هـ.

فباسم المصالح والمفاسد ارتكب المحرمات، ونادى بترك الجهاد ودخل في سلك العملية الديمقراطية، وباسم المصالح والمفاسد طعن في المجاهدين، وباسم المصالح والمفاسد فُقدت الأدلة الشرعية هيبتها، وباسم المصالح والمفاسد تم تقديم العقل على النقل، وحصلت البدع وخُذل المسلمون، وينبغي التفريق بين المصالح والمفاسد الشرعية المعتمدة، وبين المفاسد والمصالح الشخصية المأمور بالتضحية بها من أجل ضرورة الدين.

فالحذر الحذر من خدعة إبليس، فباسم المصالح والمفاسد تم التردد من قبل بعض الجماعات الإسلامية على السفارة الأمريكية، وباسمها عُقدت المؤتمرات مع الأديان الأخرى لتميع قضية الولاء والبراء، وعُقدت المؤتمرات مع الرافضة الذين يقال لهم اليوم بأنهم إخوان لنا في العقيدة بعدما قيل لهم بالأمس كفاراً، فلا حول ولا قوة إلا بالله، أما القاعدة -وليس وحدها- فمذهبها من ذلك واضح جلي والله المستعان.

١٢ - لأنهم أحيوا مصطلح علماء السلطان:

هذا المصطلح موجود منذ عهد السلف القرون المفضلة، وقد حذر السلف من علماء السلطان؛ وذلك لعظيم خطورتهم لما لهم من تأثير في قلب الحقائق، فيجعلون الحق باطلاً والباطل حقاً، ويعطون الحكام الصبغة الشرعية لما يمارسونه من انحرافات، ويسكتون عن إجرامهم بل وعن كفرهم، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ومن أتى السلطان افتتن" رواه أبو داود. وقال الشيخ الألباني: صحيح .

وهنا وقفة صادقة:

لماذا لا نسمع بهذا المصطلح عند بعض الجماعات من الناحية العملية؟ جماعة بكاملها لا تكاد تسمع من مشايخها التحذير من علماء السلطان، وإذا حذر بعضهم من ذلك نظر إليه الآخرون من الجماعة بأن ذلك خلاف منهج السلف مع الحكام.

ومما يدمي القلب أن بعضهم إذا سمع القول بكفر القوانين الوضعية وهو على عقيدة المرجئة وهو لا يشعر ربما لا ينكر، بل بعضهم يعترف بقول أهل السنة لكنه يجعل ذلك خلافاً بينهم، ومع ذلك لو سمع تنزيل الحكم على حاكم معين استجاش غضباً وكأن الإسلام يهدم بذلك القول، فلماذا تغضب للسلطان أكثر من غضبك للتأصيل الشرعي الذي تراه خلافاً للصواب؟ أعرفت وهديت للصواب أم لا؟؟

هل يمكن لهذا الزمان أن يكون خالياً من علماء السلطان؟

وهل من منهج السلف السكوت وعدم التحذير من علماء السلطان؟

الجواب يعرفه كل طالب علم منصف: فالزمان فيه علماء سلطان، ومنهج التحذير من علماء السلطان، ولناخذ مثلاً على ذلك بعض أقوال سفيان الثوري رحمه الله:

قال الذهبي: قال سفيان: [إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيت يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تُخدع ويقال لك: ترد مظلمة وتدفع عن مظلوم، فإن هذه خديعة إبليس اتخذها القراء سلماً]. انظر (القول النفيس في التحذير من خديعة إبليس "مصلحة الدعوة") ص (٣٠) نقلاً عن سير أعلام النبلاء (١٣ / ٥٨٦).

وكتب سفيان بن عباد وكان في كتابه: [إياك والأمرء أن تدنوا منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع ويقال لك: تشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة، فإن ذلك خدعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سلماً]. نفس المرجع نقلاً عن الحلية لأبي نعيم (٦ / ٣٧٦-٣٧٧).

فبالله عليك لو كان سفيان حياً اليوم، ماذا سيقول للعلماء الذين أفتوا للأمريكي المسلم بجواز العمل في الجيش الأمريكي الذي دخل أفغانستان؟ وللعلماء الذين قالوا بأن ضحايا سبتمبر أبرياء، ودعا بعضهم للتبرع لهم؟ وماذا سيقول هو وغيره من علماء السلف عن الذين سكتوا ولم يفتوا بأن الجهاد اليوم فرض عين؟ وماذا سيقول عن القواعد الأمريكية التي تنطلق من بلاد المسلمين لتقتل في المسلمين ثم تعود إلى

قواعدها بحراسة المسلمين؟ وماذا سيقول عندما يرى المدمرات الأمريكية تمر بالموانئ والبحار العربية زاهبة للمسلمين؟ وماذا سيقول إذا رأى الجيش الأمريكي يقتل ملايين المسلمين وحكام العرب والمسلمين يمدونه بالإمداد من نפט، ومواد غذائية، واستخبارات، ومنع المجاهدين فإذا لم يكفرهم...؟

هل سيفتي بقتل المجاهدين وبالقنوت عليهم، وسيكون مكاتفاً للحكام أبداً، فقد أنكر سفيان على حكام زمانه وهم يحكمون بالشرعية وإنما لهم مخالقات عينية، وكانوا يجيشون الجيوش لفتح بلاد الكفر، حتى من شدة إنكاره عليهم اختفى منهم بمكة وقيل باليمن، ثم اختفى بالبصرة وكان يحدث المحدثين سراً حتى مات وأخرجوا جنازته للناس فجأة فصلى عليه الناس.

هذا سفيان الثوري رحمه الله الذي قال فيه الإمام أحمد: [أندري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري الذي لا يتقدمه أحد في قلبي]، سفيان الذي يقول: [إني لأرى الشيء يجب علي أن أتكلم فيه فلا أفعل فأبول دماً]، ماذا لو كان سفيان وأمثاله من أئمة الإسلام اليوم أحياء، ماذا سيقولون للحكام وهم يرون بلاد المسلمين محتلة من اليهود والنصارى بتعاون من طواغيت العرب؟.

أخي المحب: هنا فتاوى مخزية من علماء وهم مبدلون اليوم، ولو كانوا في عهد سفيان لما تخرج المسلمون من إطلاق هذا المصطلح عليهم بأنهم علماء سلاطين.

فالقاعدة لها السبق في إحياء هذا المصطلح، وقد يقول المخالف: إنهم يطعنون في العلماء؟ فيجاب: بأن العلماء الربانيين مبدلون عند القاعدة. أما علماء السلطان فلا مكانة لهم، فلسنا مطالبين بتقدير من كانت أقواله في صالح الأمريكيان، وشجب وطعن في عقيدة الجعاهدين، واتهمهم بالفئة الضالة والخوارج، مع أنه قد يصدر بعض العبارات الخاطئة من بعض العلماء الربانيين تخرج في المجاهدين وفي صالح أعدائهم، فنقول: بأن هذا خطأ، لكن ليسوا علماء سلاطين.

فالقاعدة لها السبق في هذه الفترة مع غيرها ممن سلك منهج الجهاد في إحياء هذا المصطلح، ونحن بحاجة لإحياء هذا المصطلح؛ لأن إمامته مخالفة لمنهج السلف وخداع للأمة، ويستفيد من ذلك أعداء الأمة من اليهود والنصارى والمنافقين، وإحياء هذا المصطلح نصيحة للأمة لأن هذا الأمر دين، فلا بد أن ننظر عن نأخذ ديننا.

وبسبب علماء السلطان تغلق أبواب الخير ومن أهمها الجهاد، وذلك حين يكون على غير مراد الحاكم، وباب الجهاد عظيم قال شيخ الإسلام: [ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد] الفتاوى ٢٨ / ٤٢١

بل إن علماء السلطان ربما يفتون بشرعية الشيء وهو في حقيقة الأمر من سخط الله سبحانه وتعالى، واعلم رعاك الله أن الله ضرب أسوأ مثلين في القرآن الكريم للعالم الذي لا يعمل بعلمه قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ و﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

× وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾

وإن كتم العلم فيه وعيد شديد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ × إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فِئْتَهُمْ فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠١﴾

فهل تظن السلف يحذرون من علماء السلطان وهم غير موجودين؟

وهل تظن أن الله سبحانه وتعالى لعن أناساً ليس لهم وجود؟

وهل تظن أسوأ مثلين تضرب للعالم الذي لا يعمل بعلمه مع عدم وجودهم؟

إن هؤلاء لهم وجود في الواقع، وإذا لم يكن لهم وجود في الواقع وإذا لم يكن لهم وجود في ذهنك، فاتهم عقلك واترك تشويه المجاهدين بأنهم يطعنون في أهل العلم، نعم قد يوجد بعض المنتسبين للجهاد يسيئون التعامل مع بعض أهل العلم، ولكل جماعة غوغاء.

١٣- لأنهم يفرقون بين تقديس العلماء وتقدير العلماء:

قد يقول قائل: إنك أطريتهم. فأقول إني لا أكتب إلا ما أعتقد حقاً، ومن الحقيقة أنني عرفت من خلالهم عملياً الفرق بين تقدير العلماء وبين تقديس العلماء، وأن هناك فرقاً بين العملي والنظري، فكم من القواعد التي يقول بها كثير من طلبة العلم نظرياً قولاً ويخالفها فعلاً وعملاً؟ وهاك على سبيل المثال:

أ- الحق لا يُعرف بالرجال ولكن الرجال يُعرفون بالحق، فاعرف الحق تعرف أهله.

فهذه قاعدة مشهورة متداولة بين طلبة العلم، ولكن في الحقيقة كم من طالب علم خالف تلك القاعدة عملياً، فتراه يتكلم في مسائل مهمة في باب الاعتقاد والجهاد زاعماً أنه عرفها بدليلها وفي الحقيقة إنما أخذها تقليداً، وربما أنه يشدد على المجاهدين وهو لا يفهم هذه المسائل، وعلى سبيل المثال: كنت في مناقشة علمية مع بعض المخالفين وهو يشنع على المنهج الجهادي ويحذر الشباب، ويسعى بكل ما أوتي من قوة لحربهم، فكان من ضمن المناقشة العلمية أنني سألته عن حكم مظاهر الكفار؟ فقال: قد يكون المظاهر مكرهاً أو متأولاً، فقلت له: تنزلاً في الحكم على المظاهر للكافرين على المسلمين إذا لم يكن مكرهاً ولا متأولاً - لا تنس أنني قلت ذلك تنزلاً - فلم يستطع جواباً، فقلت: أنت لا تفهم حكم هذه المسألة، فلماذا تشنع على المجاهدين وأنت لا تفهم الأصول التي انطلق منها المجاهدون. فقال: هل قامت عليهم الحجة؟ قلت له: وما معنى إقامة الحجة؟ قال: إقامة الحجة أن يوصلها عالم معتبر ونحو هذا الكلام. فقلت له: أنت لا تفهم معنى إقامة الحجة، ثم بينت له معنى إقامة الحجة من كلام شيخ الإسلام، والفرق بين إقامة الحجة وفهم الحجة، ثم قلت له: راجع هذه المسائل قبل الطعن والكلام على المخالفين، ولكن بدون جدوى أصر تقليداً لبعض العلماء،

فهذا التعامل ونحوه مع فتاوى بعض العلماء يعتبر تقديساً وإنزالاً لهم فوق منزلتهم، مع أنهم يطعنون في علماء المجاهدين وينسبون للقاعدة بأنها تطعن في العلماء، ونحن مأمورون بتقدير العلماء وعدم التشنيع على زلتهم، ولكن من هم هؤلاء العلماء؟ هم العلماء الربانيون الذين نصرروا الإسلام أما من كانت فتاواهم لصالح الطواغيت واليهود والنصارى، وحرماً على المجاهدين وتحليل لدمائهم فلا حرج على المجاهدين إن تكلموا على أولئك، وينبغي أن نكون معتدلين مع أهل العلم فلا نحن الذين نقدم أقوالهم على الكتاب والسنة، ولا نحن بالذين نجفوا معهم، قال ابن القيم رحمه الله: [وكذلك قصر بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والاتفات إليها بالكلية وتجاوز بأخرين حتى جعلوا الحلال ما حلوه والحرام ما حرموه وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله الصحيحة الصريحة] إغاثة اللهفان ١ / ١١٧.

فتنبه رعاك الله فربما تكون مقدساً لبعض المشايخ وأنت تظن أنك مقدر لهم، وإذا أردت أن تعرف ذلك فخذ بعض الفتاوى بغض النظر عن القائل، واعرضها على فطرتك السليمة وحدد موقفك منها، وانظر إلى هذه الفتاوى منقولة من كتاب (حقيقة الحروب الصليبية) للشيخ يوسف العبيري:

(١) فتوى شيخ الأزهر سيد طنطاوي، لما سئل عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، سئل عن دور الأزهر من نصرة المظلوم إلى جانب الفقراء والمعتدى عليهم؟ قال: [إن الاعتداء على الأمنين كما حدث في مركز التجارة العالمي في نيويورك هو الإرهاب بعينه]، وسئل عن الهجوم المحتمل على أفغانستان؟ قال: [من حق كل دولة أن تدافع في وجه كل من يعتدي عليها وإن الإسلام مع المظلوم ويقف ضد العدوان والظلم والإرهاب، فإذا وقع العدوان على أي دولة نقف نحن المسلمين إلى جانب من وقع عليه العدوان بصرف النظر عن كونه أمريكياً أو غيرها]، وشدد على أن مرتكب الأعمال الإرهابية والقتل يجب أن يحاسب بعد ثبوت جرمه بالدليل القاطع.

(٢) فتوى رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية الشيخ صالح اللحيدان في تاريخ ١ / ٧ / ١٤٢٢هـ:

[الإحسان إلى الآخرين ونصرة المظلوم وقهر الظالم بالحق لا بالظلم من أعظم أسباب تقلص الظلم].

وقال: [إن مد يد العون للمنكوبين في تلك التفجيرات ابتغاء وجه الله هي من الإحسان إلى بني الإنسان، وهي أيضاً من وسائل الدعوة إلى الله وبيان سمو الخلق الإسلامي].

وعندما سئل عن شرعية إغاثة المنكوبين في مثل هذه الحوادث، بالتبرع بالدم وبذل المساعدات المالية؟ قال بعد ذكر حديث في كل كبد رطوبة أجر وذكر قول الله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾. وأن الأسير كان كافراً قال: [فالإغاثة على سد رمق الكافر ابتغاء وجه الله جل وعلا هي من الإحسان إلى بني الإنسان، وهي أيضاً من وسائل الدعوة إلى الله وبيان سمو الخلق الإسلامي وسمو خلق المسلم الذي يدين الله دين الحق، ولا حرج ولا إثم بل الأجر يؤجر لمن ينصر مظلوماً ولو كان كافراً].

(٣) وإليك أخي القارئ فتوى أخرى لشيخ آخر وهو القرضاوي الذي أفتى بتحريم العمليات على أمريكا

وأنها محرمة في الشريعة، ثم بعد ذلك قال: [نحث المسلمين جميعاً أن يتبرعوا بالدم للأبرياء في أمريكا الذين سقطوا ضحية هذه الهجمات].

(٤) وفتوى أخرى لرابطة العالم الإسلامي للدكتور عبد المحسن التركي في ٢٩ / ٦ / ١٤٢٢هـ بعد أن أدان العمليات وشجبها وأصدر حكمه ببراءة الإسلام منها ومن أصحابها وأطال التزلف قال: [إن الشعوب المسلمة انطلقت من إدانتها للإجرام الإرهابي الذي حدث في الولايات المتحدة، وما حدث كذلك في بلدان أخرى من منطلق إسلامي يقوم على قواعد شرعية حرمت على المسلم أن يكون قاتلاً أو وسيلة من وسائل القتل، أو إرهاب الناس أو ترويعهم أو إيذاءهم؛ لأن كل ذلك يدخل من باب البغي المحرم]، وأضاف: [إن صلاح العالم وضمن أمنه وسلامته يقتضي الإسراع في تنفيذ القانون الدولي بمنع جميع أشكال العدوان].

(٥) ونختم بفتوى مفتي السعودية رئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء الشيخ عبد العزيز آل الشيخ قال: [إن التفجيرات التي وقعت في الولايات المتحدة وما كان من جنسها من اختطاف الطائرات أو ترويع الأمنين أو قتل أنفس بغير حق، ما هي إلا ضرب من الظلم والجور والبغي وإن مثل هذه التصرفات محرمة ومن كبائر الذنوب]، وأكد أن ما جرى في نيويورك وواشنطن من أحداث خطيرة راحت بسببها آلاف الأنفس من الأعمال التي لا تقرها شريعة الإسلام، وليست من هذا الدين ولا تتوافق مع أصوله الشرعية.

انظر كتاب (حقيقة الحروب الصليبية).

١٤ - لأنهم يسرون على طريقة المحققين من أهل العلم:

إن منهج أهل السنة والجماعة معروف مدون في كتب المعتقد، والقاعدة -بفضل الله- تسير على منهج المحققين من علماء أهل السنة، فأهل السنة يرون:

أ- أن التشريع المخالف لتشريع الله أنه كفر بدون تفصيل: قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿الْأَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ قال الشنقيطي في (أضواء البيان) (٧ / ٤٨): [فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: ﴿وَلَا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ بصيغة النهي.

وقال في الإشراك به في عبادته: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، فالأمران سواء [أ.هـ].

وقال أيضاً في (أضواء البيان) (٣ / ٢٥٩): [وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور: أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على السنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا

على السنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم] أ.هـ، والقاعدة تقول بذلك.

ب- الحكم بغير ما أنزل الله عند أهل السنة ينقسم إلى قسمين:

١- الحكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام كفرٌ أكبر.

٢- الحكم بغير ما أنزل الله في قضية عين كفر أصغر، في القضية الواحدة ونحوها والقاعدة تقول بذلك.

ج - مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين:

فالقاعدة تعتقد وتعمل باعتقاد أهل السنة بأن ذلك كفر، كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ضمن نواقض الإسلام العشرة (مجموعة التوحيد) ص ٢٤: [الناقض الثامن: مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾] أ.هـ.

هـ- في إقامة الحجة وما تقوم به الحجة، والفرق بين إقامة الحجة وفهم الحجة وإقامة الحجة في المسائل الخفية لا المسائل الظاهرة، واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع:

فالقاعدة تسير على ذلك، ومن كان منصفاً فليقرأ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام أئمة الدعوة، وليعمل مقارنة بينه وبين ما تسير عليه القاعدة اليوم.

فهل القاعدة أسعد بمنهج المحققين؟ أم الذي يرى التفصيل في المشرع، ويرى أن الحكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام والقضايا المعينة سواء؟! وأنه ليس كفراً إلا بالاستحلال؟! والاستحلال عند بعضهم لا يعرف إلا بصريح اللسان؟!.

هل القاعدة أسعد بمنهج المحققين أم من يقول أن الحكام وقعوا في الكفر ولكن لا يكفرون لعذر الجهل، وأن الحجة لم تبلغهم!! وما علموا أن الحجة لا تشتت في المسائل الظاهرة وإنما في المسائل الخفية كما نقلنا ذلك في هذا الكتاب عن بعض أهل العلم، وما علموا أن قيام الحجة معناه بلوغها أو التمكن من بلوغها، فمن كان كذلك فقد قامت عليه الحجة، كما قال شيخ الإسلام في الرد على المنطقيين ص ٩٩: [حجة الله برسله قامت بالتمكن من العلم، فليس من شرط حجة الله تعالى علم المدعويين بها، ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعاً من قيام حجة الله تعالى عليهم، وكذلك إعراضهم عن استماع المنقول عن الأنبياء وقراءة الآثار الماثورة عنهم لا يمنع الحجة إذ المكنة حاصلة] أ.هـ.

وقال أيضاً في رسالته (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر): [وإذا أخبر بوقوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها لم يكن من شرط ذلك أن يصل أمر الأمر ونهي الناهي منها إلى كل مكلف في العالم؛ إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة: فكيف يشترط فيما هو من توابعها؟ بل الشرط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه: كان التفريط منهم لا منه] (مجموع الفتاوى) (٢٨ / ١٢٥-١٢٦).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: [ما ذكرتم من قول الشيخ كل من جحد كذا وكذا وقامت عليه الحجة، أنكم شاكون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليهم الحجة فهذا من العجب، كيف تشكون في هذا وقد أوضحت لكم مراراً، فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر] (مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب) ص ٢٤٤.

فهل الحجة بلغت الحكام اليوم أم لا؟ وهل يتمكنون من الوصول إليها أم لا؟ وهل يشترط الحجة في المسائل الظاهرة من تبديل الشريعة وموالاتة اليهود والنصارى؟! وهل يشترط أن يفهموا أن القاعدة على حق؟!٢

ولا يشترط أن يفهموا أن القاعدة على حق؛ لأن من اشترط ذلك فهو يشترط فهم الحجة، وقد علمت ما الفرق بين قيام الحجة وفهمها.

فيا أبا الإيمان: عد لما قرره أئمة أهل السنة والجماعة من تأصيل هذه المسائل، وانظر هل تجد القاعدة مخالفة في الأصول أم لا؟ أما مسائل التنزيل فيسع الخلاف فيها، وهنا أحب أن أقف عند أمور وأسألك عنها:

١- هل تجعل خطأ بعض المخالفين في الأصول مثل الخطأ في التنزيل إذا وجد عند بعض القاعدة؟

٢- قد يقول قائل: إذا كنتم تقولون يسع الخلاف في التنزيل فلماذا القاعدة تشنع على العلماء الذين لا يكفرون الحكام؟ نقول: هذا سؤال جيد ولا بد من بيانه، فأقول: إن القاعدة لا تشنع على كل من لم يكفر الحكام، فعندهم الذين لا يكفرون الحكام من العلماء على قسمين: -

أ- عالم بعيد عن سلطانهم، تجرد واجتهد ولم يصل إلى تكفيرهم، ولم يُستخدم كوسيلة لحرب المجاهدين، فهذا يقدر عند القاعدة وله اجتهاده.

ب- عالم لم يكفر الحكام واستُخدم لحرب المجاهدين، ووصفهم بالفئة الضالة ومدح الطواغيت وخذل الأمة الإسلامية، فهذا الذي تحذر منه القاعدة؛ لأن ضرره على الأمة خطير.

٢- ومع ذلك هل الحجة لم تبلغهم وهم يتابعون إصدارات المجاهدين وإعلامهم يضح بذكر القاعدة؟ وهل تظن أن الحجة لم تبلغهم وقد اشتعلت الحرب بيننا وبينهم؟ إنهم يعلمون ذلك جيداً حتى أن الرئيس اليمني قال بعد ضرب السفارة الأمريكية في صنعاء: أن هؤلاء -أي المجاهدين- يريدون إقامة خلافة إسلامية ورئيس جهاز الأمن السياسي اليمني يقول لبعض السجناء: نحن حكومة علمانية الذي يريد حكومة إسلامية فليذهب إلى أفغانستان. لقد سمعوا أحد المنشدين ينشد وقالوا له: قصيدتك لن تنفعك!!.

القاعدة تسير على طريقة المحققين من أهل العلم، وطريقتهم التبرؤ من الكفر والكافر باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع إذا كان المقام يقتضيها، وليس من طريقة المحققين التبرؤ من الكفر وعدم البراءة من الكافر.

ويا من تشنعون على القاعدة في التنزيل: أما قد مر بكم في التاريخ أن العلماء قد أنزلوا أحكام الكفر على من يروونه يستحق ذلك، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: [ومن أعظم ما يحل الإشكال في مسألة التكفير والقتال عن قصد إتباع الحق، إجماع الصحابة على قتال مانعي الزكاة وإدخالهم في أهل الردة وسبي ذراريهم، وفعلهم فيهم ما صح عنهم، وهو أول قتال وقع في الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين، فهذه أول وقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع أعني المدعين للإسلام، وهي أوضح الوقعات التي وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى وقتنا هذا، وقال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وإلقاء الخرق على الشجر إقتداء لمن عبد اللات والعزى]. ١٠هـ مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ٢٦، والمراد منه قوله: [وهم عندي كفار بهذه الأوضاع].

وقال ابن القيم في (إغاثة اللهفان) ١ / ١٩٧ في إنكار تعظيم القبور: [وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين أن صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً سماه (مناسك المشاهد)، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام]. ١٠هـ، وهذا الذي ذكره ابن القيم رجل من المصنفين يقال له ابن المفيد، فقد رأيت ما قال فيه بعينه، فكيف ينكر تكفير المعين؟ وأما كلام سائر أتباع الأئمة في التكفير، فنذكر منه قليلاً من كثير. [أما كلام الحنفية فكلامهم في هذا من أغلظ الكلام، حتى إنهم يكفرون المعين إذا قال مصيحف أو مسيجد وصلى صلاة بلا وضوء ونحو ذلك.

وقال في (النهر الفائق): واعلم أن الشيخ قاسماً، قال في شرح درر البحار: [إن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريض فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا، باطل إجماعاً لوجه... إلى أن قال: ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر... إلى أن قال: وقد ابتلى الناس بذلك، لاسيما في مولد الشيخ أحمد البدوي]. ١٠هـ.

فانظر إلى تصريحه إن هذا كفر، مع قوله أنه يقع من أكثر العوام، وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة لهم على إزالته.

وقال أبو العباس رحمه الله حدثني ابن الخضير عن والده الشيخ الخضير إمام الحنفية في زمانه قال: [كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا: كان كافراً نكياً]، فهذا إمام الحنفية في زمنه حكى عن فقهاء بخارى جملة كفر ابن سينا، وهو رجل معين منصف يتظاهر بالإسلام.

وأما كلام المالكية في هذا أكثر من أن يحصر، وقد اشتهر عن فقهاءهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التي لا يظن لها أكثر الناس، وقد ذكر القاضي عياض في آخر كتاب (الشفاء) من ذلك طرفاً، ومما ذكر أن من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر، وكل هذا دون ما نحن فيه بما لا نسبة بينه وبينه.

وأما كلام الشافعية، فقال صاحب إعانة الطالبين (٤ / ١٥١): [على كفر من شك في كفر طائفة، كابن عربي الذين ظاهر كلامهم عند غيرهم الاتحاد]. وكل هذا دون ما نحن فيه.

وقال ابن حجر في شرح الأربعين على حديث ابن عباس: [إذا سألت فاسأل الله]، وما معناه إن من دعا غير الله فهو كافر]. نقلاً عن كتاب البلاغ المبين (١ / ٢٢٥)

وصنف في هذا النوع كتاباً مستقلاً سماه (الإعلام بقواطع الإسلام) ذكر فيه أنواعاً كثيرة من الأقوال والأفعال كل واحد منها ذكر أنه يخرج من الإسلام ويكفر به المعين، وغالبه لا يساوي عشير معشار ما نحن فيه، إلى أن قال: [فمن أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقيناً ما جرى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام، كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقته ويأخذ ماله، ومثل همه بغزو بني المصطلق لما قيل أنهم منعوا الزكاة، ومثل قتال الصديق وأصحابه لما نعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين.

ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾، حل الخمر لبعض الخواص، ومثل إجماع الصحابة في زمن عثمان -رضي الله عنه- على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلمة الكذاب مع أنهم لم يتبعوه، وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم، ومثل تحريق علي -رضي الله عنه- أصحابه لما غلوا فيه، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد ومن اتبعه مع أنه يدعي أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت، ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشهور بالعلم والدين، وهلم جرا من وقائع لا تعد ولا تحصى.

ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره: كيف تقاتل بني حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويزكون؟ وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا، وهلم جرا إلى زمن بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام، وصلاة الجمعة والجماعة، ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا، لم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم، ولم يتوقفوا فيه وهم في زمن ابن الجوزي والموفق.

وصنف ابن الجوزي كتاباً لما أخذت مصر منهم سماه (النصر على مصر) ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئاً من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملة، أو لأجل قول لا إله إلا الله أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام، إلا ما سمعناه من هؤلاء الملاعين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو

الشرك، ولكن من فعله أو حسنه أو كان مع أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر؛ لأنه يقول لا إله إلا الله، أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة، ويستدلون بأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها الإسلام، هذا لم يُسمع قط إلا من هؤلاء الملحددين الجاهلين الظالمين، فإن ظفروا بحرف واحد عن أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه] ١.هـ، من مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ص ٣٦ للشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وراجعوه فهو مهم جداً.

وقد ذكر الشيخ ناصر الفهد - فك الله أسره - أربع عشرة واقعة كُفّر فيها العلماء من ظاهر المشركين على المسلمين.

ففكر الإرجاء قام للرد على فكر الخوارج، فقابل البدعة ببدعة، وتوسط أهل السنة بين الخوارج والمرجئة في الإيمان.

فاحذر يا عبد الله أن تصل بك الغيرة على هذا الدين فتحارب التكفير الذي في موضعه وأنت لا تشعر؛ فتهون للناس الكفر فيقعون في بشاعة الكفر وهم يظنونهم معصية، واحذر يا عبد الله أن تكون ناشراً لمذهب المرجئة وأنت تظن أنك تنشر مذهب أهل السنة.

قال النضر بن شميل: [دخلت على المأمون قال لي: كيف أصبحت يا نضر؟ قال: قلت: بخير يا أمير المؤمنين. قال: أتدري ما الإرجاء: قلت: ودين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقص من دينهم. قال لي: صدقت] تاريخ مدينة دمشق (٣٣ / ٢٨٦).

وفي الكنى والأسماء للدولابي (٣ / ٢٦٠) قال النضر بن شميل: [قال لي المأمون: يا أبا الحسن الإرجاء دين الملوك].

والقاعدة على منهج أهل السنة في أبواب المعتقد، فمنها باب الإيمان وباب الأسماء، والصفات، والقضاء والقدر، والقرآن والصحابة وغيرها.

فهل رأيت القاعدة تكفر بالذنوب التي دون الكفر؟ أليسوا يعتقدون مثلاً في الزاني والقاتل وغيرهم من أصحاب المعاصي بما يعتقد فيهم أهل السنة؟ أليس من صفات الخوارج أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان؟ والقاعدة اليوم من أكبر الجماعات الجهادية التي تقاتل أهل الأوثان، أليس من صفات الخوارج التحليق؟ والقاعدة عرف كثير منهم بإطالة الشعر.

١٥ - لأحاديث الملاحم:

لأن أحاديث الملاحم تكلمت عن ثلاثة أماكن وهي:-

(١) الشام.

(٢) خراسان.

(٣) أبين عدن.

عن ابن حوالة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجنّدة، جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق، قال ابن حوالة: خري لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله توكل لي بالشام وأهله" رواه أحمد.

إذا نظرنا إلى هذه الأماكن قبل عقدين من الزمان والآن لرأينا فارقاً كبيراً، فقد تغيرت الأمور نحو الأحسن، فالشام قبل عشرين عاماً في انحراف وبعد عن الدين أشد من اليوم، وخراسان كانت اشتراكية، وكذلك عدن أبين، واليوم بفضل الله خراسان بها أكبر معاقل الجهاد في أفغانستان، والشام بها حركات جهادية معروفة، والصحة الإسلامية في أبين عدن، وعلمت أن هذه الأماكن سيكون فيها انتصارات للإسلام لن يحققها إلا المجاهدون، والقاعدة متواجدة في هذه الأماكن.

أما خراسان فهو منطلقها - أي قاعدة الجهاد في أفغانستان - وبها أمير القاعدة الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله.

وأما أبين عدن فأكبر تنظيم جهادي معروف في هذا المكان هو تنظيم القاعدة.

وأما الشام فلهم وجود في بعض الأماكن، ولهم وجود في زمن قريب في غزة.

فبشائر النصر تلوح في هذه الأماكن، وعلمت أن النصر سيتحقق بإذن الله برفع رايات الجهاد في هذه الأماكن والله أعلم.

١٦ - لأنهم أكثر الناس تفاؤلاً ببشائر النصر:

هناك عدة مبشرات لنصر هذه الأمة على أعدائها، وعودة العز بعد الذل، والتمكين بعد الاستضعاف، والعودة إلى مكانها الأول في قيادة الأمم، وهذه المبشرات تعددت أنواعها فمنها: -

(أ) مبشرات شرعية:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وغيرها من الآيات والأحاديث ولكن ليس هذا موضع البسط.

(ب) مبشرات كونية فأيات الله الكونية ثابتة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، فكونا كلما اشتد الظلام بدء الفجر وسطع، وآخر ساعات الليل هي أشدها ظلاماً يعقبها الفجر، وكلما اشتد الحبل انقطع، وكلما ضاق الأمر اتسع، ونحن في هذه الأزمان نعاني من شدة الانحراف والبعد عن منهج رب العالمين، وضعف الأمة، وتسلبت اليهود والنصارى عليها، فنأمل الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والسعة بعد الضيق، وليس ذلك على الله بعزیز.

(ج) مبشرات من معطيات الواقع:

منها أن الإتحاد السوفييتي الذي كان القطب الموازي للقطب الأمريكي قد تدهور على يد المجاهدين الأفغان، فليس على الله بعزیز أن يتدهور القطب الآخر مثل سابقه، وكذلك من مبشرات الواقع ارتفاع رايات الجهاد وتسفل رايات القومية والعلمنة، واتضح الأمر للمسلمين أنه لن يزود عن أعراضهم إلا المجاهدون، وبدؤوا يفقدون الثقة بجيوشهم المنظمة وكرهوا حكامهم وعرفوا عمالتهم، وبدأ الوازع الديني ينتشر أكثر من الفترات الماضية.

ومن مبشرات الواقع الفشل الأمريكي في العراق وأفغانستان الذي تتكلم عليه، والضربة الاقتصادية للاقتصاد الأمريكي، وهناك الكثير من المبشرات لا يسع المقام لذكرها، وقاعدة الجهاد من أكثر المسلمين تفاؤلاً بهذه المبشرات، وإياك أن تصفهم بسطحية النظر وعدم العمق، وتقول: هؤلاء قوم مستعجلون؛ لأنك في حقيقة الأمر ربما أن اليأس قد ملاً قلبك، وضعفت ثقتك بالله فرميت من عظمت ثقته بالله بالتهور.

واعلم أن التبشير بالنصر في زمن الاستضعاف يكون فتنة للمنافقين وثباتاً للمؤمنين، ولا يخفى عليك تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بانتشار الإسلام عندما كان يحفر الخندق فكانت تلك البشرى فتنة للمنافقين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وماذا قال المؤمنون: ﴿وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

فانظر رعاك الله إلى حال القاعدة عندما تجلس معهم ترى ثققتهم بالله عظيمة، بينما بعض الجماعات التي تعترف وترى أن هؤلاء الحكام ليسوا مرتدين، وتدعو إلى بث العلم فقط ترى أن اليأس قد أخذ موقعاً عظيماً من قلوبهم، فلا هم يهتمون بجهاد، وحتى أن بعض إخوانهم لا يتابع أخبار إخوانه المسلمين، فهنيئاً لمن ينشر بشائر النصر، ويبعث الأمل في قلوب الأمة، فكيف لا نستبشر والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه بعد الحكم الجبري ستعود الخلافة التي هي على منهاج النبوة، والحكم الجبري هو الحكم العسكري الذي يحكمنا الآن.

كيف لا نستبشر؟ وبعض المشايخ يرى بأننا في آخر الحكم الجبري والله أعلم.

فالقاعدة متفائلة بالنصر، ولا يصنع النصر إلا من سلك سبيل الجهاد، سواء جهاد المنافقين أو اليهود والنصارى.

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويُفك عانٍ ويأتي أهله النائي الغريب

١٧ - لأنهم يشاركون مشاركة فعالة في صناعة النصر:

النصر آتٍ لهذه الأمة لا محالة، ولن يأتي النصر إلا بصناعة وصناع، وصناعة النصر تشترك فيه عدة جهات بين مقل ومستكثر، وبعضهم وإن كان يسعى بصناعة يسيرة بطيئة في جهة، لكنه يهدم ويعرقل النصر من جهة أخرى من حيث لا يشعر.

فالقاعدة من السابقين في صناعة النصر الذي قد يتعجل وقد يتأخر، ودليل صناعتهم وجود معقلها في أفغانستان يواجه قوى الكفر الغاشمة المحتلة، وكذلك تنظيمه في العراق الذي هو من أكبر التنظيمات الجهادية في العراق، ووجود تنظيمهم في بلاد الجزيرة، وبلاد المغرب العربي، والصومال ولهم وجود في أجزاء أخرى من الشام، ولا تنس وجودهم في إيران وبلاد باكستان، فلم أر تنظيمًا جهاديًا عالميًا مثل هذا التنظيم الذي يواجه الأمريكان وعملاء الأمريكان.

وهذا التنظيم الذي حقق انتصارات باهرة ولا يزال في طريقه لتحقيق نصر أعظم بإذن الله، ولم يحقق ذلك إلا بالدماء الزكية، والجهود العظيمة، ومفارقة الأوطان وبالأموال المباركة، فهل يقال بعد ذلك: إن هؤلاء ليسوا من السابقين في تحقيق النصر؟؟ الجواب عند المنصفين من الموافقين والمخالفين.

وتحقيق النصر يشارك فيه كل من دعا إلى صفاء العقيدة والعودة إلى منهج السلف.

لكن لا يستوي من شارك بالعلم والبيان والسيف والسنان مع من اقتصر بالعلم وحده، ولا يستوي من شارك بالعلم الذي هو محاربة الشركات فقط بمن حارب شركات القبور وشركات القصور.

وإن من أشد ما يعرقل النصر فكر المرجئة الذي هو تخدير الشباب، وهو القول: بأن القوانين الوضعية ليست كفرًا إلا بالاستحلال، والاستحلال لا يعرف إلا بصريح اللسان. فهذا قول خطير، وعلى هذا القول مهما بدلت الشريعة بقوانين الكفر فإن أصحاب هذا القول يرونهم ولاية أمور، فمثلاً على هذا القول المنحرف، لو وجد حاكم يحكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام، وبدل كل الشريعة وتزندق وقال مثلاً قانون:

١ - تقطع يد القاتل.

٢- يقتل السارق.

٣- يرمي الزاني الغير محصن ويجلد الزاني المحصن.

٤- للأنثى مثل حظ الذكركين.

٥- الطلاق بيد المرأة.

٦- الزنا برضا الزوجة لا عقاب عليه.

وهكذا عندهم الذي بدّل جميع الشريعة لا يكفر حتى يصرح بلسانه، ولم يحكموا عليه من خلال فعله، فهذا القول الذي يدندن به البعض وينسبونه إلى منهج أهل السنة قول خطير، فلا تعجب لعدم تكفيرهم للحكام المبدلين للشريعة، فعلى قولهم هذا مهما جاء من حكام وتجروؤوا على دين الله بالتشريع فلن يكفروهم حتى يصرحوا بألسنتهم، وهذا خلاف منهج أهل السنة الذين عندهم الكفر يكون بالقول والفعل والاعتقاد.

فتأمل هذا الفكر الموجود في أوساط بعض شباب العلم والتدين من هذه الأمة، وكيف كان أثره عليهم؟ فقد ثبط الشباب عن الجهاد.

ولما كان ذلك الفكر منتشراً عندنا باليمن في المراكز العلمية والمتأثرين بها، قلّ الطلاب الذين ذهبوا للجهاد، وليس ذلك جبناً فيهم ولا زهداً في الشهادة ولكنه من تأثير فكر المرجئة، وحتى قال لي بعض الإخوة المجاهدين: إن أكثر الذين ذهبوا للجهاد في العراق من بلاد الحرمين ذهبوا عن غيرة، فسألت نفسي لماذا؟ فعرفت أنه بسبب فكر المرجئة! حتى قلّ عدد طلاب العلم المجاهدين.

فهل تظن من يحارب المجاهدين، ويرى شرعية الحكام المرتدين عملاء الأمريكان، ويرى القوانين الوضعية ليست كفراً، ولا يحث على الجهاد فهل تظن أنه من السباقين في صناعة النصر؟

إن صناعة النصر قول وفعل، وولاء وبراء، وجهاد بالنفس والمال، وصدق وإخلاص ويقين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

إن الناس اليوم انقسموا إلى ثلاثة أقسام:-

(١) طائفة المجاهدين وأنصارهم.

(٢) طائفة المخدّلين.

(٣) طائفة المخالفين.

فالنصر يصنعه المجاهدون، وقل لي بربك أي نصر يصنعه المخدّلون والمخالفون الذين سلم منهم فارس والروم ولم يسلم منهم إخوانهم المسلمون.

إننا في زمن الأذى، وقد وصى بعض الحكماء ابنه فقال: [إذا سلم الناس منك فلا عليك ألا تسلم منهم، فإنه

١٨- لا يمنع الخلاف في بعض التنزيلات من الانضمام لهم:

إنني بفضل الله عندما نظرت في منهج القاعدة في مسألة التكفير، وجدتهم ينطلقون من أصول أهل السنة والجماعة وإن رغمت أنوف؛ فهم يكفرون الحكام؛ لأنهم بدلوا شريعة الله بالقوانين الوضعية سواءً في المحاكم التجارية، أو قانون العمل والعُمال، أو البنوك الربوية المقننة، أو المحاكم العسكرية والمحاكم الإعلامية وغيرها من القوانين، كذلك كفروهم بسبب مظاهرتهم لليهود والنصارى على المسلمين، فلا إشكال في تكفير الحاكم، ولذلك البلاد التي دخلتها أمريكا وأوجدت لها عملاء يقاتلون معها المجاهدين، ويتبنون عرش المحتل في العراق وأفغانستان فلا إشكال أنهم عملاء مرتدون، لكن نقطة العساكر في الأنظمة العربية فلا أدري: هل كل القاعدة أم بعضهم يراهم طائفة كفر، لكن قبل التشنيع على القاعدة في ذلك لا بد من مراعات أمور، وهي: نسأل المشنع على القاعدة في ذلك، هل هذه مسألة تنزيلية أم من مسائل الأصول؟ فالجواب الصحيح: أنها مسألة تنزيلية يسع فيها الخلاف.

ما هي الأفعال التي صدرت من هؤلاء العسكر حتى حكمت القاعدة بذلك؟

الأفعال التي صدرت من هؤلاء العسكر منها كفرية شعروا أو لم يشعروا وهي كالاتي:

- ١- تثبيت عرش الحكام المرتدين.
 - ٢- تثبيت الحكم بالقوانين الكفرية.
 - ٣- منعوا من يريد تحكيم الشريعة الإسلامية.
 - ٤- امتنعوا عن الجهاد وهم طائفة.
 - ٥- منعوا غيرهم من الجهاد في سبيل الله في العراق، وأفغانستان، وفلسطين وغيرها من البلاد الأخرى.
 - ٦- قتلوا المجاهدين طاعة للحكام المرتدين.
 - ٧- نفذوا للحكام مظاهره اليهود والنصارى على المسلمين.
 - ٨- حموا من أخذ أموال المسلمين وحارب بها الإسلام وأعطاهم اليهود والنصارى.
 - ٩- قاموا بحماية اليهود والنصارى، سواءً في قواعدهم العسكرية أو سفاراتهم أو عملهم التجسسي على المسلمين.
 - ١٠- كانوا يد الحكام التي يبطنون بها المسلمين.
- ولا ينكر هذه الأعمال إلا المكابرون.

س / أيها المشنع على القاعدة في التكفير، ما معنى قولهم طائفة كفر؟

ج / قبل الإجابة على هذا السؤال، لقد سألت بعض المشنعين على القاعدة ما معنى قولهم طائفة كفر للعسكر؟ قال: فصل أنت، قلت له: الذي يطعن في عقائد الناس لا بد أن يكون عنده معرفة في عقائدهم، وإلا يسكت، ثم قلت له بعد أن عجز عن تفصيل معنى قولهم طائفة كفر: أي فيما يظهر لهم، أما فيما بينهم وبين الله قد يكون لبعضهم أعداء ويكونون من أهل الجنة، وأما إذا قضي على أحدهم من الجنود فلا ينزل الحكم عليه حتى ينظر، هل استوفت الشروط وانتفت الموانع فينزل الحكم عليه، أما إذا وجد مانع أو لم تستوف الشروط فلا ينزل حكم التكفير عليه، إذاً فهذا تفصيل قابل للصواب وقابل للخطأ، فإن كان صواباً فلهم أجرين، وإن كان خطأ فلهم أجر، وهذه المسألة لا ينطبق عليها حديث: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه" لأن الصواب والخطأ هنا ليس عن هوى وعداوة بل عن اجتهاد.

قال ابن القيم رحمه الله: [وفيها: أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك بل لا يآثم به، بل يثاب على نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه] زاد المعاد (٣ / ٢٧١).

إذاً فقولهم قلنا بين الأجر والأجرين لماذا؟

لأن أعمال العسكر ليست بالسهلة وهي أعمال كفرية، إنما منعنا أن نوافق القاعدة في هذا الإطلاق موانع التكفير، ومسألة الموانع قد يراها شخص غير موجودة، بينما يراها شخص آخر بأنها موجودة، إذاً فالخلاف في تطبيق حكم الله على جهة معينة، وهذه مسألة اجتهادية.

ولا يهولنك إرجاف المرجئة، فالمرجئة لا يقبل منها الكلام في باب الإيمان والكفر؛ لأنها تسير خلاف منهج أهل السنة، وكما أننا نحذر من تكفير المسلم بغير حق، كذلك ينبغي أن نحذر من أسلمة الكافر بغير حق، فالمرجئة تفتح الباب لإكفار الأمة؛ أي أنها تهون الكفر للناس ولا تطلق عليه كفراً، فيقع فيه المسلم يظنه معصية وهو كفر، قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله -: [وهذا الإرجاء - تأخير العمل عن حقيقة الإيمان - أخطر باب لإكفار الأمة، وتهالكها في الذنوب والمعاصي والآثام، وما يترتب على ذلك من انحسار في مفهوم العبادة، وتمييع التوحيد العملي - توحيد الألوهية - وكان من أسوأ آثاره في عصرنا شرك التشريع؛ بالخروج على شريعة رب الأرض والسما بال قوانین الوضعية، فهذه على مقتضى هذا الإرجاء ليست كفراً، ومعلوم أن الحكم بغير ما أنزل الله معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ورسوله] انظر ضوابط التكفير للقرني (ص ٢٣٧)، نقلاً عن كتاب تحريف النصوص (ص ١٢٣).

١٩ - لشريعة أسلوبهم في التربية الجهادية:

لو نظرنا إلى المنهج النبوي في التربية لشخصية المسلم حتى يصبح مجاهداً لوجدنا الآتي:-

(١) عن البراء بن مالك قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم. قال: "أسلم ثم قاتل". فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عمل قليلاً وأجر كثيراً" متفق عليه واللفظ للبخاري.

فانظر إلى الهدى النبوي: هل اشترط شروطاً تعسفية، وقال لذلك الرجل: ارجع إلى المدينة حتى تأخذ فترة من الزمن، ومن خلالها يتقوى إيمانك ثم تدخل المعركة، فأما الآن فلست مؤهلاً لخوض المعركة.

وانظر إلى هدي محمد عليه الصلاة والسلام عندما خرج إلى حنين وخرج معه بعض أصحابه الذين هم حدثاء عهد بكفر، وماذا قالوا؟ وماذا أجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم؟ عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سُدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يُقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسُدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الله أكبر، إنها السُنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾"، لتركبُن سنن من قبلكم" رواه الترمذي وصححه، والشاهد أنه خرج في جيش الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الذين لا يزال عهدهم بالكفر قريب، فيجهلون كثيراً من الأحكام والمعتقدات حتى أنهم طلبوا هذا الأمر الفظيع، فكيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم معهم، هل أوقف الجيش وقال حدثاء العهد بالكفر لا يدخلون المعركة؟ أم علمهم ومضى بهم؟ بل إن ميادين القتال خير الأمور لتربية الأمة، فمن هذين الدليلين تعرف بطلان ما يدندن حوله بعض أفراد الجماعات الأخرى من أن الجهاد لا بد من له من تربية عظيمة، وكأنه لا يجاهد إلا من يبلغ مبلغاً عظيماً في العلم والإيمان.

فإذا ذكر لهم الجهاد دندنوا حول جهاد النفس وهكذا، فيقال لهم: للشخص منكم في الاستقامة خمسة عشرة سنة، وبعضكم أكثر وبعضكم أقل، أفلا تكفيكم التربية وجهاد نفوسكم؟ ثم من أين هذا الشرط المخترع؟

نعم إن التركيز على الجانب العقدي عند المجاهد أمر مهم بل هو الأساس، لكن اتبعوا الهدى النبوي في هذا الأمر، ثم لماذا يحشر العلم وكأنه شرط لازم للمجاهد؟ ألم يكن علماء الصحابة قليلاً بالنسبة لبقية الصحابة الآخرين؟ أما المجاهدون من الصحابة فهم العموم، ومن لم يجاهد وليس من أهل الأعذار فيلقى من اللوم والعتاب والعقاب ما الله به عليم، وما خبر كعب بن مالك و هلال بن أمية و مرارة بن الربيع -رضي الله عنهم- عنك ببعيد.

إن شرط القاعدة في الجهاد هو هذا الشرط النبوي، وانظر ماذا قال سيد -رحمه الله- حول ذلك: [نجد أن هذا القرآن لا يكشف عن أسراره إلا للذين يخوضون به المعركة ويجاهدون به جهاداً كبيراً، إن هؤلاء

وحدهم هم الذين يعيشون في مثل الجو الذي تنزل فيه القرآن] (في ظلال القرآن) لذلك تنبّه علماء السلف وأهل النظر الثاقب من المعاصرين إلى هذه القضية، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: [من كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد...] مجموع الفتاوى ٢٨ / ٤٢١، وهذا ابن القيم -رحمه الله- يجعل من يواظب على القيام والصيام والقراءة والذكر وكل ما هو غاية أصحاب التربية الهادئة، ويعطل الجهاد والصدع بالحق من موتى القلوب وممن يمقتهم الله، نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. (إعلام الموقعين ٢ / ١٩٧)

وهذا الشيخ محمد الأمين المصري يقول: [أما القائلون كيف يمكن الجهاد والمسلمون مشتتون جاهلون بعيديون من معاني دينهم فجوابهم: علاج هذا كله بالدخول في ميادين القتال...] إلى أن قال -رحمه الله-: [إن أعظم ميدان للتربية ميدان القتال... انظر كتاب إدارة التوحش صفحة ٥٤.

فيا من يدندنون حول تربية النفس طيلة هذه السنوات، أما أن لكم أن تعرفوا أنكم ضحتم هذا الشرط زيادة على الهدى النبوي، أما أن لكم أن تعرفوا تقصيركم في هذا الباب وتتركوا عيب الآخرين.

قال الشاعر:

وما عبّر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى يد النقص عنه بانتقاص الأفاضل

وهنا شبه قد ترد عند البعض، وهي أن هذين الحديثين: حديث الرجل الذي أسلم ثم قاتل ثم قتل، وحديث أبي واقد الليثي قد يقال لك نعم هذه الأحاديث ثابتة ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن معتمداً في جهاده عليهم وإنما كان معه أبو بكر وعمر وخيار الصحابة -رضي الله عنهم-، والآخرون إنما هم تبع فلا بد من تربية عظيمة للأمة. والجواب: أن القاعدة لم يقدّم جهادها في الأصل إلا على طلبة العلم وأصحاب العقيدة وأما غيرهم فإنما هم تبع، فتنبّه.

٢٠ - لأنهم من أفضل الجماعات الإسلامية أخلاقاً:

مما دفعني للانضمام لقاعدة الجهاد بعد دراسة معتقدتهم ومنهجهم بأنه على منهج أهل السنة والجماعة، وزاد مكانتهم في قلبي أخلاقهم الرفيعة، فكم شخص تعرفت عليه منهم وجدته في غاية التواضع، وتكاد تكون سمة واضحة في كل من تعرفت عليه منهم، حتى لقد جلست مع بعض مشايخهم وأنا بمثابة الطالب عند الشيخ ولكن كان يعاملني وكأنني أنا الشيخ، فهذه الأخلاق الرفيعة التي حثنا عليها الإسلام وتخلق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس: [أكرم الناس جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إلي، لو استطعت أن لا يقع الذباب عليه لفعلت] البيان العدد ١٤٤، نقلاً عن التذكرة (ص ٢٣).

ومما أنكره أنني التقيت بالأمير الشيخ ناصر الوحيشي -حفظه الله- فكان حفظه الله في غاية التواضع

والانبساط معي، وكأننا قد تعارفنا منذ زمن.

إن الإسلام قد حث على الأخلاق، بل بين الرسول صلى الله عليه وسلم طبيعة رسالته فقال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وقال عليه الصلاة والسلام: "ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني.

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فإن كنت في عزٍ وحرزٍ ومنعة فكم طاح من قوم هم منك أمتع

فصاحب الحق إذا لم يتمتع بالأخلاق الحسنة صد عن الحق الذي يحمله بسوء أخلاقه، بل إن الأخلاق الحسنة تجر الناس إلى أصحابها، ولو كانت معتقداتهم مخالفة؛ فكيف لو جمعت الأخلاق وحسن المعتقد، فكان نوراً على نور.

وإنني أنصح إخواني في القاعدة أن يطلبوا من الأخلاق والصبر على الناس، وقولي بأن القاعدة تتمتع بحسن الأخلاق، هذا حكم أغلبي، وقد يوجد من بعض أفرادهم من جانب حسن الأخلاق شيء من قصور.

٢١- لأنهم يواجهون حرباً إعلامية من اليهود والنصارى والمنافقين:

عندما تجلس مع نفسك وتسالها: ما هي الجماعة التي تواجه أشد أنواع التشويه الإعلامي من قبل اليهود والنصارى والمنافقين؟ فسيجيب كل منصف سواءً موافق أو مخالف بأنه تنظيم القاعدة.

ومعلوم من سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يواجه قمة التشويه الإعلامي، ومن ذلك ما حدث للطفيل بن عمرو الدوسي -رضي الله عنه-.

وكذلك كان الأنبياء يواجهون التشويه الإعلامي مع أقوامهم، نبي الله نوح اتهمه قومه بالضلالة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ × قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا نبي الله هود اتهمه قومه بالسفاهة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ × قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وكل نبي كان يواجه التشويه الإعلامي مع قومه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، والحرب الإعلامية من الأمريكان وعملائهم للمجاهدين عامة والقاعدة خاصة تنوعت، فوصفوهم بالإرهابيين مع أن هذا الوصف صحيح إذا كان لأعداء الله، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، ووصفوهم بالمتشددين والتكفيريين وضخموا من انتصاراتهم على المجاهدين وكتبوا انتصارات المجاهدين عليهم، وشارك في هذا التشويه الإعلامي علماء السوء وبعض العلماء الآخرين الذين زلت أقدامهم في هذا الأمر.

فكيف لا تسعى أمريكا وعملاؤها بتشويه المجاهدين؟ وما بينها وبينهم إلا الرصاص ونهر الدماء من الطرفين، فهذا أمر غير مستغرب، وكيف لا يسعى المنافقون عملاء أمريكا بتشويه المجاهدين، الذين أنكروا عليهم كفرهم، وتلاعبهم بشرع الله، و تحكيمهم الياسق العصري القوانين الوضعية وموالاتهم لليهود والنصارى؟ فكيف لا يسعون في تشويه القاعدة، والقاعدة أعلنت الحرب عليهم حتى يكون الدين كله لله، فهذا تقتضيه طبيعة الحروب.

وعندما تنظر في تعامل الحكام المرتدين مع بعض المشايخ، فهيئوا لهم المال والعمل ووسائل الإعلام، في الوقت الذي يحاربون فيه المجاهدين بالقتل والتعذيب، والسجن والإبعاد، والمطاردة والتشويه الإعلامي عبر وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة؛ حتى يصدوا الناس عن المجاهدين فأيهما أقرب لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- هل هو المبتلى أم هو الحاصل على رضا الطواغيت؟ الجواب عند أصحاب الفطرة السليمة.

فكم من رجل أصبح ضحية من ضحايا إعلام المنافقين، فأصبح يحارب الحق يظنه باطلاً وينصر الباطل يظنه حقاً.

فكم صوروا المجاهدين بأنهم مخربون مزعزعون للأمن والاستقرار، فنقول بكل صراحة: لا نريد أمناً واستقراراً تحت ظل حكم الطواغيت، لا نريد أمناً وشريعة الله مهانة من قبل المنافقين، والله لأن تجرى الدماء من طرف البلاد إلى طرفها الآخر أهون، ولا استقرار بحكم القوانين الوضعية الكافرة، لا نريد أمناً ولا استقراراً على حساب حياة إخواننا في فلسطين، والعراق، وأفغانستان وغيرهم، لا نريد أمناً والطائرة تقلع من القواعد الأمريكية في البلاد العربية وتقتل المسلمين ثم تعود إلى أماكنها وقواعدها بحراسة الطواغيت حكام العرب، لا نريد أمناً ولا استقراراً وإخواننا في البلاد الأخرى يُقتلون بنفطنا المسروق من قبل الطواغيت، المهدي للأمريكان، والمدمرات تمر علينا لقتل إخواننا، فيا من تنادون بالأمن والاستقرار والاقتصاد فحسب: هل تبينون لنا المقصد الشرعي من وجودكم؟ هل تريدون أن تضحوا بدينكم وإخوانكم من أجل أمنكم وسلامتكم؟ هل تنظرون إلى مطلب آخر غير مطلب البطون والفروج؟

أما هزّ مشاعركم احتلال الأمريكان لبلادكم، أما أرقّ نومكم صرخات أخواتكم من سجون الاحتلال، اللاتي ينادين بالموت؛ لأنهن قد اغتُصبن، وما خبر فاطمة العراقية عنكم ببعيد، أما أدركتم المشكلة التي لأجلها جاهد الجياهدون وكفر الكافرون، إنها مشكلة تنحية الشريعة واستبدالها بالقوانين الكفرية وموالات اليهود والنصارى، فهل في ديننا أن نضحى بضرورة الدين من أجل النفس والمال؟ أم نضحى بالنفس والمال من أجل ضرورة الدين؟

فيا أيها المسلم، اتق الله واحذر من إعلام المنافقين، وإذا سمعته فاسمعه سماع المنتقد ولا تصدق كل ما يقال، فكم من سمّ دسوه في وسط العسل؟ لماذا تسمع لإعلام المنافقين ولا تسمع لإعلام المجاهدين؟ فالجاهدون لهم إعلام عبر الأشرطة والسيديوهات والمجلات والانترنت وبعض المحاضرات، فاسمع لهم

حتى يتبين الحق، فالحق أبلج والباطل لجلج.

فهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق

٢٢- لأن قاداتهم يذكروننا بقيادة الأمة:

أخي القارئ لا تستعجل في انتقاد هذا العنوان، فالخير باق في هذه الأمة، فإذا كان التاريخ سجل موقفاً عظيماً للمعتصم، فلماذا لا يسجل مواقف عظيمة لقادة القاعدة؟ فقد كان المعتصم عنده القوة والعتاد فنفذ أمره وأسرع بنصره، واهتز عدوه بسرعة، وأما قادة القاعدة فقد قاموا قومتهم للانتهاض بهذه الأمة، لكن لضعف الإمكانيات، وشدة العدو، وكثرة المنافقين، وكثرة المخذلين والمرجفين تأخر النصر، وإلا فلن ينسى التاريخ وقفتهم وإن نسيها المخالفون.

إن التاريخ لن يرحم أصحاب الفتاوى المخزية، ولن يحابي من دعا لشرعية الطواغيت، وأفتى بعدم شرعية جهاد العراق، وسكت عن موالاة اليهود والنصارى، التاريخ لم ينس وقفة المعتصم مع امرأة، فهل تظن أنه ينسى وقفة شيخ المجاهدين الشيخ المجاهد أسامة بن لادن حفظه الله، في وجه أعتا قوة في العالم لسنوات عدة وهو يسيل دماءهم كل يوم؟ هل سينسى التاريخ دماء أصحابه الأبرار الشهداء في محاربة الصليب والطواغيت؟ هل ينسى التاريخ قسم ابن لادن عندما قال: [أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بغير عمد، لن تحلم أمريكا بالأمن حتى نعيشه واقعاً في فلسطين]؟ هل سينسى التاريخ موقف أمير الاستشهاديين أبو مصعب الزرقاوي -تقبله الله- عندما سمع صرخة تلك المرأة العراقية التي اغتصبها الأمريكيان بتعاون مع الرافضة قال -رحمه الله-: [لبيك يا أماه ولبيك يا أختاه، لبيك أيتها العفيفة الطاهرة، فوالله لن يهنأ لنا عيش، ولن يغمض لنا جفن، ولن يغمد لنا سيف حتى نثار لعرضكن وكرامتكن، ونعاهد الله يا كلب الروم بوش بأنه لن يقر لك قرار، ولن يهنأ جيشك بلذيد عيش وطيب مقام وفينا عرق ينبض وقلب يخفق، فنحن قادمون بعون الله، فيا أسود التوحيد على أرض الرافدين الحبيبة: عزمت عليكم إن وصلكم ندائي هذا أن لا يأتي عليكم الليل إلا وسيوفكم تقطر من دماء عدوكم، أعيدها خضراء جذعة، قوموا قومة رجل واحد؛ فلا خير في عيش تنتهك فيه أعراضنا، وتداس فيه كرامة أخواتنا، ويحكمنا فيه عباد الصليب]؟ فلو أن هذه الأقوال التي تلتها الأفعال من قادة المجاهدين صدرت قولاً وفعلاً من علماء الإسلام، هل سيكون حال المسلمين مثل حالهم اليوم؟ الجواب: لا.

هل تصورت لو صدرت هذه الأقوال من علماء الإسلام قاطبة، من علماء الحرمين، ومصر، واليمن، والشام، والعراق، وباكستان، والأفغان وبلاد المغرب وحرصوا المسلمين على الجهاد، هل سيكون حال المسلمين مثل حالهم اليوم؟ الجواب: لا.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

٢٣- لأي تخيلت أمراً فعظم تمسكي بمنهجهم:

فهل لك أن تتخيل ذلك الأمر، أكرمني بقراءة هذا التخيل الذي لم يأت من فراغ، وإنما بعد مناقشات طويلة مع المخالفين لمنهج القاعدة، فقد ناقشت عدة نقاشات، فمن المخالفين من يناقش بأدب واحترام في غالب حديثه، ومنهم أقرب إلى الطيش والسفه من الحلم والأناة وطالما آذاني نقاشهم، وأحياناً ربما أفضل السجن ولا أسمع بعض عباراتهم، فتولد عندي هذا التخيل الذي عرضته على أصحاب الفطر السليمة فاستحسنوه:

فأقول: [تخيل أي أناقش بعض المخالفين ومعني إخواني رفاق الدرب؛ لأن المخالف ومعني إخوانه على طريقة المنفرة من القاعدة، فتخيل أننا في مجلس كبير وفي نفس المجلس مندوبات من النساء العفيفات، اللاتي اغتصبهن الأمريكان وإسرائيل، وكذلك في نفس المجلس بعض المسلمين الذين فقدوا أبناءهم وآباءهم وهدمت بيوتهم، وفي المجلس مندوبون من الأمريكان، ومندوبون من حكام العرب، وهناك أمة عظيمة تنتظر، إني أقول أنا وأصحابي: بأن الجهاد فرض عين وتدمير القواعد الأمريكية في كل مكان هدف مشروع لنا، والحكام لا بد من إزالتهم من الحكم؛ لأنهم كتف الأمريكان ولولا أموالهم لما استطاعت أمريكا مواصلة الحرب، والأمة لا بد أن تفهم بهذا الفهم، وخصمي هو وأصحابه يقولون: بأن الجهاد ليس فرض عين، وأن القواعد الأمريكية في البلاد العربية والإسلامية يحرم الاعتداء عليها؛ لأنهم مستأمنون، وحكام العرب هم الحكام الشرعيون، والخروج عليهم حرام، فبالله عليك يا أخا الإيمان: من سيميل إلى كلامنا، ومن سيميل إلى كلامهم، النساء العفيفات، والذين فقدوا أهلهم ومساكنهم هل سيقفون معنا أو معهم؟ وهل الأمريكان وحكام العرب سيفرحون بكلامنا أم بكلامهم؟ وماذا لو فهمت الأمة بفهمنا؟ وماذا لو فهمت الأمة بفهمهم؟ إن الأمر واضح جلي، وإذا كنت لا تزال في حيرة من أمرك وفي غبش من معرفة الحق، فأقول لك: دعك من تقديس بعض العلماء، ودعك من فكر الإرجاء؛ فإنه سبب الغشاوة التي على قلبك، وادع الله بالتوفيق وعليك بتقوى الله.

قال أبو العتاهية:

أما والله إن الظلم لؤم
إلى ديان يوم الدين نمضي
وما زال المسيء هو الظلوم
وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا
غداً عند المليك من الظلوم

٢٤- لأنني نظرت متأملاً لحال الأمة فقلت: لو كان بعض الناس أحياء ماذا سيكون؟:

مما دعاني للوقوف مع القاعدة أني نظرت إلى حال الأمة، فاستعرضت تسلط عباد الصليب علينا، وصولتهم وجولتهم مع خدمهم العملاء، واستعرضت مساجدنا المهذمة، ومصاحفنا الممزقة، وبيوتنا التي على أنقاضها، ونساءنا المغتصابات، وسيل الدماء المستمر من أبناء هذه الأمة، فقلت: لو كان الصحابة والتابعون أحياء ماذا سيصنعون؟ هل سيؤثرون حياة الذل على الشهادة؟ ألم يكتب خالد إلى الفرس: [إن معي جنوداً يحبون القتل كما تحب فارس الخمر] انظر تحفة العلماء بتهديب سير أعلام النبلاء (ص ٦٤٠)، ألم يجمع كثير من علماء الأمة بين العلم والجهاد؟ قال محمد بن أبي حاتم: [رأيت محمد بن إسماعيل البخاري استلقى على قفاه يوماً، ونحن بفرير في تصنيفه كتاب التفسير، وأتعب نفسه ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: إنني أراك تقول: إنني ما أثبتُّ شيئاً بغير علم قط منذ عقلت، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا اليوم وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح، وأخذ أهبةً، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك. قال: وكان يركب إلى الرمي كثيراً، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبتته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلك وكان لا يُسبق] انظر تحفة العلماء بتهديب سير أعلام النبلاء (ص ٦٣٩).

سفيان الثوري الذي لم يرضَ عن حكام زمانه، وكان يرى الأمر لا يستطيع أن يتكلم فيه فيبول دماً، ماذا لو كان اليوم حياً؟ والعالم يونس بن عبيد عندما حضرته المنية بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: لأن قدمي لم تغبراً في سبيل الله.

هل تتوقع أخي المحب لو كان واحداً منهم حياً، هل سيفتي بالاعتراف بحكومة "علاوي" المرتدة؟ أم سيفتي بجواز الاشتراك مع الشرطة العراقية المشاركة مع الجيش الأمريكي في متابعة المجاهدين وقتالهم؟

فندائي للدعاة الذين يرون شرعية حكام اليوم، نقول لهم: أين الإقتداء بعلماء السلف المنكرين على حكامهم؟ فلا يمنع اعترافكم بهم إنكاركم عليهم مساندة الأمريكان وإسرائيل، وقول كلمة الحق.

قال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير وإن جرَّعني غصصي بريقي
وما شكري لها إلا لأنني عرفتُ بها عدوي من صديقي

٢٥- لأنني لا أحب أن أرى العالم الإسلامي في هذه الحالة بدون القاعدة:

إن الناظر في حال المسلمين اليوم يزداد حزنه ويشد ألمه ويؤرق نومه، فكم من طفل عاش يتيماً، أتعبه اليتيم

وفقد حنان الأب؟ وكم من أرملة فقدت زوجها، وعانت العسر بعد اليسر؟.

فيا أبا الإيمان، كيف حالك وأنت تنظر إلى بلادٍ بكاملها محتلة من اليهود والنصارى، وبلاد أخرى تحت قبضة الطواغيت؟

لاشك أنك ستحب من كان لهم مجاهداً، ولطريقهم مخالفاً، ولدمائهم سافكاً، ولأباطيلهم كاشفاً.

لاشك أنك ستحب من كان غصةً في حلو قهم، وكابوساً يؤرق نومهم، ولجيشهم مدمراً ولأمنهم مزعزعاً.

لاشك أنك ستحب من أبكاهم كما أبكوا المسلمين، ويتم أطفالهم كما يتموا أطفالنا، وأوقف تقدمهم، وأفضل -بفضل الله- مخططاتهم، أليس هذا من عمل المجاهدين؟ وفي مقدمتهم القاعدة؟ فهل تحب أن يكون العالم الإسلامي بجرحه العظيم يئن صباحاً مساءً بدون القاعدة؟

هل تحب أن يكون العالم بدون المجاهد الشيخ / أسامة بن لادن حفظه الله؟ ماذا يغني عنا كثرة المخذلين والمخالفين؟ هل غاروا للحرقات والمحارم؟ ليتهم كما قيل:

فليتهم إن لم يذودوا حمية عن الدين ظنوا غيرة للمحارم
وإن زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى فهلا أتوه رغبة في المغانم

ألا تحب أيها المسلم كثرة الجياهدين الذين لولا أن سخرهم الله، لرأيت اليهود والنصارى يحتلون كل مدن و أرياف الإسلام؟ فقد تقول: نعم أحب كثرتهم لكن بدون القاعدة!!! نقول: دع عنك هذا الهوى، فالأمر أن ينبني على أدلة، وليس عن أمزجة وأفكار باطلة، ولو نظرنا إلى حقيقة بعض الدعوات، دعوات الغلو التي أشد ما تحارب المجاهدين، لرأينا أنهم يهونون من أمر الجهاد، فهم يجنون على شعيرة الجهاد، وليس على القاعدة فحسب.

وأكبر دليل على انحرافهم أنهم قلما يخطبون حول الجهاد، ولا يحرضون الأمة عليه، ويقللون من شأنه، وينشرون عيوب المجاهدين، ويكتمون محاسنهم.

أرفقوا بأنفسكم وأنقذوها، فإن حربكم على المجاهدين إنما هي حسناتكم تهدونها لهم، واعلموا أن الله حافظ دينه وناصر أوليائه وميسر الجهاد، وأهل الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

وأنا أسألكم: إذا كان المجاهدون خوارج وأهل انحراف!! فأين رايتكم وجهادكم في بلاد المسلمين؟

لن تستطيعوا أن تخبرونا بأن لكم راية يا أهل الغلو في أي بلدة من البلاد، لماذا لا تكون لكم جماعة تجاهد وأنتم تزعمون أنكم على الحق؟ والرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبر بأن الجهاد مستمر، فيلزمكم أحد أمرين:

أ- إما أن تقولوا ليس هناك جهاد على وجه الأرض فخالفتهم النص.

ب- وإما أن تقولوا نعم هناك جهاد، فنقول: في أي مكان؟ وإذا حددوا المكان، نقول: أين وجودكم فيه؟ فلن يستطيعوا أن يحددوا لهم مكاناً، أعرفت بعد ذلك خطأهم وجرأتهم على المجاهدين؟! .

٢٦- لأنني وجدت سعادة في هذا الطريق أكثر من غيره:

إن من يسلك طريق الاستقامة على دين الله سيجد السعادة، وهذه السعادة تتفاوت بقدر تمسك المرء بدينه، وبقدر قربته من الحق،

فوجدت سعادةً عظيمةً في طريقهم؛ لأنني وجدت إخوة في الله يعرفون معنى الأخوة، ومن سعادة المرء في الدنيا ثلاث كما قال ابن المنكر: [ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في الجماعة] إحياء علوم الدين (١ / ٣٥٨).

وإنني أقول لبعض الجماعات: أنها لم تتمتع بسعادة الأخوة في الله كما ينبغي، ولا يعلم ذلك إلا من سلك الطريقين، أما من سلك طريقاً واحداً وجعل الطريق الآخر فلن يعلم ذلك.

كيف لا أجد سعادة، ومن يسلك هذا الطريق فقد سلك طريق الجهاد، سواءً جهاد اليهود والنصارى أو المرتدين، والجهاد يشرح الصدر، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم" رواه أحمد واللفظ له ورواه ثقات، ورواه الطبراني في الكبير، والحاكم وصحح إسناده، وقال الشيخ الألباني: (صحيح لغيره).

وكيف لا أجد سعادةً وأنا أحيي عقيدة الولاء والبراء، التي أماتها كثيرٌ من الناس من حيث لا يشعرون؟.

وكيف لا أجد سعادة وأنا أنتمي إلى جماعة أقضت مضاجع الأمريكان وأعاونهم؟.

وكيف لا أجد سعادة وأنا في عمل يغيظ الكفار؟ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وكيف لا أجد سعادة في جماعة رضيت عنها وعن غيرها من المجاهدين المسلمات في سجون الأعداء، وساخطات على غيرهم من المخدلين والمخالفين؟.

وكيف لا أجد سعادة وأنا أستشعر أنني أخطر بنفسي وأمني في أمر الجهاد، وقياماً بما أمر الله به؟ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمُؤِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾.

ليس معنى السعادة المركب الفاره، والمسكن الجميل، والعيش الرغيد، وأنت تحت الذل وترضى بالضميم، وتسام بالخسف، إن السعادة كلمات عز، وعمل مجد، وراية منصوبة، وهامة مرفوعة، إن السعادة موت بالسيف ولا حياة مع السوط، قال الشاعر:

أنا مبدأي أن الهوان لغيرنا والعزُّ لي ولأمتي وبلادي
لا أستسيغ الذلَّ أو أَرُدُّ الردي فالموت في زمن الهوان مرادي

٢٧- للترغيب والترهيب لترك هذا الطريق:

عندما سلكت طريق قاعدة الجهاد وجدت عقبات في هذا الطريق منها:

أ- الترغيب:

فقد رُغبت بتركه، وقيل لي: أنت لك احترام، ولك دعوة، فلماذا تشوه نفسك بطريق هؤلاء؟ ومن ضمن الترغيب: عرض الأموال بصورة غير مباشرة.

ب- الترهيب:

ترهيبني بأن الناس الذين يعرفونني سيحذرون مني، ويمقتونني، وسيغلقون مساجدهم وبلادهم دوني. وأيضاً التهديد بالسجن وبالقتل وبضياع بعض مصادر الرزق، وكذلك ابتليت بأن أجلس فترة أشهر لا أتصل، ولا ألتقي، ولا أعمل مع إخواني في القاعدة.

فصاحب الحق لا بد أن يتعرض للابتلاء، لاسيما في زمن غلبة الأعداء، قال تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ × وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

٢٨- لأنهم أبعد الناس عن النعرات:

القاعدة بفضل الله أبعد الناس عن النعرات، ودليل ذلك أن القاعدة -وهم عرب- بايعوا الملا محمد عمر -حفظه الله- وهو أعجمي، وقد رأيت ذلك على مستوى الشباب في بلادنا، فعندما تركوا بعض الجماعات وانضموا للمجاهدين أصبح حالهم من حيث تركهم للنعرات أفضل مما كانوا عليه في السابق.

نحن في اليمن من يعايشنا يجد رائحة العصبية الجاهلية بين أبناء الشمال والجنوب، حتى سرت تلك العدوى بين بعض المتدينين، لكن الإخوة في القاعدة يشكلون حالة أفضل، فإني لا أزعم أنهم خلوا من هذه النعرات، فهي توجد في بعضهم بضعف وتُنكر بشدة في أوساطهم.

والخلاص والتصفية من أمر النعرات أمر مهم، فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله -رضي

الله عنهما - قال: كنا في غزاة، قال سفيان: مرةً في جيش، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ما بال دعوى الجاهلية" قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: "دعواها فإنها منتنة".

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيه: "...ومن قُتل تحت راية عمية، يغضب للعصبة ويقاوم للعصبة فليس من أمتي".

٢٩ - لسياستهم الحربية:

فالمجاهدون عامة، والقاعدة خاصة - بعون الله - لا يديرون حربهم ضد الصليب وأعدائه عشوائية، بل بسياسة حربية، بل أرادوا من هذه الحرب عدة أهداف، منها:

١ - إسقاط جزء هام من هيبة أمريكا، وبث الثقة في نفوس المسلمين من خلال:
أ) كشف الهالة الإعلامية الكاذبة بأنها قوة لا تقهر.

ب) جعل أمريكا تستبدل حربها على الإسلام، من نظام الحرب بالوكالة إلى أن تحارب بنفسها.

٢ - تعويض الخسائر البشرية التي منيت بها حركة التجديد في الثلاثين عاماً الماضية، عن طريق مد بشري متوقع يأتي لسببين:

أ) الانبهار من العمليات التي سيتم القيام بها في مواجهة أمريكا.

ب) الغضب من التدخل الأمريكي السافر والمباشر في العالم الإسلامي، (انظر كتاب: إدارة التوحش / ص ١٠).

ومن سياستهم الحربية: أن الحرب الآن مع الأمريكان تسير على حسب إستراتيجيتهم لا على حسب إستراتيجية أمريكا، ومن لم يكن مصدقاً لذلك فليُنظر في إستراتيجية القاعدة، وينظر: هل هم يسيرون عليها أم لا؟

ومن سياستهم المحنكة: أنهم يتخذون ثلاث طرق مع الحكام المرتدين:

أ) شوكة النكاية: وهي توجيه ضربات متفرقة للعدو حتى يضعف.

ب) إدارة التوحش: مرحلة ما بين شوكة النكاية ومرحلة التمكين.

ج) التمكين: أي إقامة الدولة الإسلامية وبسط سيطرتها.

فيا من يصف المجاهدين بالعشوائية، هل تمعنت في طريقهم وإستراتيجيتهم؟

ومن سياستهم الحربية:بقاؤهم إلى الآن وهم يواجهون -بعون الله- أقوى قوة في العالم، بل كل يوم يزدادون قوة عبر العالم.

القاعدة -بإذن الله- من طلائع الأمة، قادمة لإعلاء كلمة الله في الأرض، وليكون الدين كله لله، ولإخراج العباد من ظلم اليهود والنصارى والطواغيت إلى عدل الإسلام.

٣٠- لأنهم يرهبون أعداء الله:

مما حباهم الله به هم وغيرهم من المجاهدين:أنهم يرهبون أعداء الله، وهذه الأمة ليست كلها ترهب أعداء الله، ولكن الذي يرهب أعداء الله هو الذي امتثل الأمر الرباني بالإعداد والجهاد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ﴾. فمن ترك الامتثال للأمر الرباني بالإعداد والجهاد، فليس له نصيب في كونه يرهب أعداء الله.

وإرهابك لأعداء الله عبادة تتقرب بها إلى الله، قال ابن كثير -رحمه الله-: [وقوله: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي: تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: من الكفار] تفسير ابن كثير (٤ / ٨٢).

إن من ترك الإعداد والجهاد، وتأصيل عقيدة الولاء والبراء، ودعا إلى مؤتمرات مكافحة الإرهاب، وإلى الحوار مع اليهود والنصارى وغيرهم فهو عند المنافقين من أصحاب الوسطية المزعومة.

أما من حقق مراد الله بما يستطيع، من إرهاب العدو فهو عندهم إرهابي متشدد من أصحاب الغلو.

فنقول:الإرهاب مشروع لأعداء الله بنص الآية السابقة، فنهياً لكم أيها المجاهدون إرهابكم لأعداء الله، فكم من خطة أحجموا عنها؛ بسبب إرهابكم لهم، ولولا أن الله سخركم لزداد الأمريكان وأعوانهم، وانتهاكهم لأعراض المسلمين وأموالهم.

إن إرهابهم قرابة إلى الله، فكيف لا نحب من يرهب أعداء الله؟ وكيف لا نسلك طريق من أوصل الذعر لهم فأرهبهم كما أرهبوا المسلمين؟ واستمع إلى أمير "دولة العراق الإسلامية" الشيخ أبي عمر القرشي البغدادي، وهو يخاطب جنوده خطاباً يرهب به أعداء الله قال: [فجروا بركان الغضب، أحرقوا الأرض تحت أقدام اليهود وأعوانهم، أبيدوا جيشهم، دمروا ألياتهم، أسقطوا طائراتهم، واقعدوا لهم كل مرصد، اكنوا لهم في البيوت والأودية والمنعطفات، اتخذوا الليل ستاراً، وحولوا صبحهم ناراً، اشوا لحومهم بالمفخحات، وقطعوا أوصالهم بالعبوات، اخلعوا قلوبهم هلعاً بالقنصات] أ.هـ.

كم ونحن نحب أن نسمع هذه الخطابات من مئات ومن آلاف من رجالٍ يكونون قادة لهذه الأمة.

أعرفتم أنه بسبب تركنا للجهاد حصل الذل والهوان.

واعلموا أن إرهابهم هو لكل من عادى الإسلام، فلا يشترط في عدو الإسلام أن يكون صاحب العيون الزرقاء، والبشرة الصفراء!! فالقاعدة ترهب أعداء الله من اليهود والنصارى والمرتدين وغيرهم، ومن يسمع إعلامهم ويرى تحركاتهم علم أن الله قذف رعباً في قلوبهم من القاعدة التي تحارب أعداء الله، سواءً كان كافراً غربياً أو مرتداً عربياً.

قال الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -رحمه الله-: [لقد ولى الزمان الذي تقبل فيه الأمة أن ترتضع الذل والهوان، وأن يُسرق فجرها الواعد على أيدي المنافقين من أبناء جلدتنا، في القرن الماضي بذلت الأمة الغالي والنفيس، وصاوت وطاوت وجاهدت الكافر المحتل، وفي غفلة عن عين الرقيب، وبسذاجة لا تُحسد عليها، أدنت للمنافقين الوصوليين أن يستلموا دفة الحكم، وأن يتبوءوا مكان القيادة، ففعلوا بأهل الإسلام ما عجز الأجنبي الكافر أن يفعل عشر معشاره، هذه التجربة المريرة حاضرة في أذهاننا، ماثلة أمام أعيننا، ولن نسمح بتكرارها بإذن الله.

لقد أحيا أبنائكم البررة -بحمد الله- فقه سلفنا الصالح في قتال طوائف الردة، وإنفاذ حكم الله في المرتدين والممتنعين عن شرائع الله، وسيظل جهادنا موصولاً، لا يفرق بين كافر عربي أو مرتد عربي، حتى تعود الخلافة إلى الأرض، أو نموت دون ذلك] أ.هـ.

فهل تحب أن تسمع هذا الكلام نحو هؤلاء الأعداء من الأمريكان والمرتدين؟ أو تحب أن تسمع كلام الذين يقولون بأن هؤلاء الحكام الطواغيت ليسوا كفاراً، بل ولاة أمورنا!! أي الكلامين الذي يرهب أعداء الله؟ ومما ينبغي الإشارة إليه أن المؤتمرات التي تسمى "مكافحة الإرهاب" ويحضرها بعض المشايخ، لا يجوز حضورها ولو كان قصد بعض المشايخ حسناً؛ لأنه إذا اتفق المسلم والكافر على لفظ، والمسلم يقصد به قصداً حسناً والكافر يقصد به قصداً سيئاً لا ينبغي موافقتهم، ويجب العدول عن هذا اللفظ إلى لفظ آخر لا مدخل لهم من خلاله، ودل على ذلك أن الله تعالى نهى المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَاعِنَا﴾؛ لأجل عدم موافقة اليهود، لأنهم يستخدمونها ويقصدون بها "الرعوننة"، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فمصطلح الإرهاب يقصد به الأمريكان والمنافقون الجهاد، وبعض المشايخ يقصد معنى آخر، لكن اتفقوا في اللفظ فعلى هذا لا يجوز حضور هذه المؤتمرات التي تسمى مكافحة "الإرهاب".

ومما أحيطك به علماً: أن هذا المصطلح الذي أتى به الأمريكان وعملاؤهم يريدون به الإسلام، لم يأت من فراغ، بل لما أحسوا بالإرهاب في قلوبهم فعلاً من المجاهدين، صاحوا خوفاً من أبناء الإسلام عبر وسائل إعلامهم، فهنيئاً لكم أيها المجاهدون هذه العبادة العظيمة.

فكوني من قوم يرهبون أعداء الله، أحبُّ إلي من قوم لا يرهبون أعداء الله.

٣١- لكون منهج المجاهدين موعود بالهداية:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قال ابن جرير: [يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفتريين على الله كذباً من كفار قريش، المكذبين بالحق لما جاءهم فينا، مُبتغين بقتالهم علو كلمتنا، ونصرة ديننا] لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، يقول: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمداً - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مُصَدِّقاً رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ فقلت له: قاتلوا فينا، قال: نعم [تفسير الطبري ٢٠ / ٦٣].

وقال الشنقيطي - رحمه الله -: [ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين جاهدوا فيه، أنه يهديهم إلى سبل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك بدليل (اللام) في قوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾] أضواء البيان (٦ / ١٦٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ﴿ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى؛ ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم] مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٤٢).

وكما هو معلوم أن مفهوم الجهاد أوسع من مفهوم القتال، والمجاهدون اليوم - بفضل الله - لم يقتصروا على القتال فحسب، بل جاهدوا بألسنتهم وأموالهم وأنفسهم، فهم يسرون بعلم وجهاد؛ لأن الشخص إذا سار بعلم فقط فسيبقى ضعيفاً، وإذا سار بالقوة والسلاح فقط فسوف يضل في استخدامه للبأس.

وبفضل الله - عز وجل - جمع المجاهدون بين العلم بأمور الجهاد وبين القتال، ونراهم موفقين في إستراتيجيتهم ومعرفة قدرة العدو وقدرتهم.

فإذا كان المجاهدون في أفغانستان، والعراق، والجزيرة، والصومال، وفلسطين وبلاد المغرب الإسلامي ليسوا أهل هداية فمن هم أهل الهداية؟

إن الله هدى المجاهدين لفهم لم يهد إليه كثيراً من غيرهم، ودليل ذلك عدة أمور منها:

١- إصرارهم على ضرورة استمرار الجهاد، بينما كثير من الآخرين يقول: إن الأمة ليست مستعدة لذلك !!.

٢- معرفتهم وجهادهم للعدو الخارجي والعدو الداخلي، بينما كثير من الآخرين لم يعرفوا العدو الداخلي.

٣- تمييزهم للفرق بين العلماء الربانيين، وعلماء السلطان.

٤- تمييزهم للفرق بين تقدير العلماء وتقديسهم.

والعقل الصحيح يوافقهم، والتاريخ يشهد لمن ساروا على طريقهم، والفطرة تستدعي السير على ما هم عليه، والغيرة تؤنب صاحبها حتى يلتحق بهم، ولنضرب مثلاً واقعياً من حال المجاهدين المعاصرين، حتى يتبين لك أنهم هُودوا للصواب.

قال صاحب كتاب (إدارة التوحش) ص ٨-٩: [والأهم من ذلك أن من نعم الله على من يخوض المعركة أنه أقرب أهل العلم والفراسة في تحسب ذلك، فمثلاً تحدث الشهيد - نحسبه كذلك - سيد قطب -رحمه الله- عن سقوط الاتحاد السوفيتي، وبين من السنن التي ستؤدي إلى ذلك الكثير، لكنه ما كان يستطيع أن يحدد زمناً متوقعا أو بيانات محددة، في حين أن للشيخ عبد الله عزام الذي استشهد -رحمه الله- قبل سقوط الاتحاد السوفيتي، تحليلاً تنبأ فيه بسقوط هذه الدولة العظمى وتشرذم جمهورياتها ونشوء حركات إسلامية مجاهدة في بعض جمهورياتها، الأغرّب من هذا أن تحليله كان مبنياً على أرقام، حيث جاء فيه عدد قوات الجيش الروسي صاحب أكبر ترسانة سلاح في العالم، وجيش أكبر من الجيش الأمريكي من حيث العدد، وأشرس وأقدر على احتمال جو المعارك وخسائرها البشرية، والأغرّب من ذلك أيضاً أنه لم يكن مبنياً على انسحاب الروس من أفغانستان، وإن كان يأمل ذلك، وإنما مبني على أن ضغط المجاهدين سيدفع الروس لضخ مزيد من أعداد الجند داخل أفغانستان، مما يقلل الاحتياطي في الجيش السوفيتي، وأن هذا الضغط والنقص سيُجبر الجمهوريات السوفيتية على محاولة الانفصال، خاصة الإسلامية التي رأى سكانها قدوة عملية على إمكانية المقاومة، وتقريباً كل ما قال حدث وكأنه فيلم سينمائي، ومن هذا نعلم أن معرفة قدرات العدو وموعد هزيمته، لن تتأتى لنا إلا بخوض الحرب العملية معه، مهما كان لنا من عقل أو دراسات نظرية] أ.هـ.

٣٢- لأن الجماعات الإسلامية لو كانت على منهجهم لتعجل النصر:

كل الجماعات الإسلامية بل كل المسلمين يتألمون من حالهم، وكل الجماعات تطلب التغيير والسير بالامة نحو العز والتمكين، فنقول لإخواننا: تعالوا نفترض أننا اتفقنا على منهج من مناهجكم، فلنأخذ:

أولاً: منهج "الإخوان المسلمين": فلو اجتمعت الجماعات الإسلامية على منهجهم، وسلكتنا العملية الديمقراطية، ونشدنا التغيير من خلال صناديق الاقتراع فنحن بين أمرين:

أ- إما أن ننجح فيها: فلن يسلموا لنا الحكم، ومثال ذلك الجزائر وفلسطين، وإن سلموها فسوف يسلمونها بشرط التنازل عن تحكيم الشريعة، كما في تركيا.

ب- وإما أن ن فشل: وإذا فشلنا كان فشلنا صيغة شرعية لحكمهم بغير الشريعة، فإن قال "الإخوان

المسلمون "سوف نلجأ إلى استعمال القوة والتغيير بالسيف، قلنا: رجعتم إلى طريقنا، فلم لا تسلكونه من أول الطريق حتى تكونوا أقرب إلى النجاح؟ وإن قالوا: نحاول مرة أخرى! قلنا: هذا جري وراء سراب، وضياح لمقدرات الأمة، وصرف الشباب عن شعيرة الجهاد ومزيد من التأخر في تحقيق النصر.

ثانياً: منهج إخواننا في الجمعيات: فأعمالهم نافعة خيرية وتعليمية، ولكن لو جلس مئات السنين بل أكثر، هل نستطيع أن نصل إلى تحكيم شريعة الله؟ الجواب: لا، بل ستبقى أعمالهم الخيرية تحت ضغط الطواغيت، حتى يسلكوا السنة الكونية في تحقيق النصر.

ثالثاً: منهج "سلفية الولاء": فلو اجتمعت الأمة على منهجهم لم يتحقق النصر، فكيف ننشد التغيير وهم يرون الحكام الطواغيت ولادة أمور للمسلمين، والقواعد الأمريكية مستأمنة؟ وكثير منهم يثبط المجاهدين عن الجهاد، ويصرفون شبابهم عن معرفة أحوال المسلمين، ويعترف بعضهم بالحكومات التي وضعها الأمريكان في البلاد المحتلة احتلالاً مباشراً، فلو جلس آلاف السنين على منهجهم لا نصل إلى تحكيم شريعة الله، ولا إلى خروج الكافر المحتل.

لكن تخيل أن جميع الجماعات الإسلامية اجتمعت على أمر الجهاد ضد المحتل الغربي والمرتد العربي، ماذا سيكون الحال؟ سوف يتعجل النصر.

فكما أننا نرى المجاهدين اليوم وهم قلة يوجعون أمريكا بالضربات في العراق وأفغانستان وغيرها، فكيف إذا هبَّ أبناء الإسلام عموماً للجهاد، وانطلقت الخطب الجهادية من كل المنابر، ودعوا إلى التبرعات للمجاهدين، وذبوا عن أعراضهم واهتموا بالإعداد والجهاد، وإغاظة الكفار ووقفوا وقفة رجل واحد، فكيف سيكون حال اليهود والنصارى والمنافقين؟ الجواب يعرفه كل منصف من أهل السنة.

إذاً: فعلى هذا بان لكل ذي لب طريق الصواب، وإذا لم يتبين لك إلى الآن فاسأل نفسك: من الذي أوقف وأفشل المخطط الأمريكي؟ هل هي صناديق الاقتراع التي يدعون إليها في العراق؟ أم بعض الإخوان المسلمين الذين جاؤوا على ظهر الدبابات الأمريكية في أفغانستان؟ أم هو العمل الخيري؟ أم هو منهج أصحاب الولاء للحكام؟ أم هو تكبيرات المجاهدين، واقتحاماتهم الجريئة، وأحزمتهم الناسفة، وعبواتهم المتفجرة وقناصاتهم المفزعة؟ فالجواب يحكيه الواقع المشاهد، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وليس معنى ذلك أنني لا أعترف بالخير عند إخواننا وأعمطهم حقهم، ولكن أريد بيان الحق في هذه المسألة.

٣٣- للأدلة العقلية:

لو وضعنا مقارنة بين منهج المجاهدين ومنهج غيرهم على اختلاف بينهم، لوجدنا أن المجاهدين يقابلون

القوة بقوة، والبأس ببأس والحديد لا يفله إلا الحديد، بينما بعض الناس يرى أنه ليس عندنا قوة، مع أنه يرى الدم الأمريكي يسيل، وآلياته تدمر، وهيبته تكسر، وأنصاره تنهار، ومع ذلك يدعو الأمة إلى المهادنة واللين مع الكفار فأين عقله؟

وإن العقل السليم يستدعي حرب الحكام؛ لأنهم وقفوا مع المحتل مالياً، وعسكرياً، وسياسياً وإعلامياً من أجل كراسيهم، فهذا ظلم للمسلمين، ومقتضى العقل السليم أنه يقف مع المظلوم حتى يأخذ حقه ممن ظلمه؛ لأن هذا هو العدل، والعقل السليم يؤيد العدل.

فقيام المجاهدين اليوم ضد الكافر الغربي والمرتد العربي، هو من مقتضى العقل السليم الذي يدلك على موافقة العدل.

٣٤- للفطرة:

إن أعمال المجاهدين محبوبة بالفطرة، ولولا كثرة التشويه الإعلامي المدروس نحو المجاهدين لرأيت كثيراً من الناس يناصرونهم، وإذا سألت الطفل أو الشائب الكبير الذي لم تتلوث فطرته، وقلت له: هل تحب من قاتل اليهود والنصارى وأعدائهم، وقاتل من منع تحكيم شريعة الله؟ أم تحب من ناصر اليهود والنصارى، وحارب المجاهدين، ومنعهم من أرض الجهاد وقتلهم؟ فبالله ماذا سيقول صاحب الفطرة السليمة؟ وماذا سيقول عندما يرى المساجد تهدم، والمصاحف تمزق، والأعراض تنتهك، والبلاد محتلة وأهل الإسلام في إهانة، أليس أقل شيء أنه سوف يدعو للمجاهدين ويتأثر لحالهم؟

ويا ترى لو سمع صاحب الفطرة السليمة من يقول: بأن القواعد الأمريكية في جزيرة العرب مستأمنة، ماذا سيقول؟ والله المستعان.

٣٥- لأنهم حاربوا المرجئة قولاً وفعلاً:

خطر المرجئة على الأمة عظيم، قال إبراهيم النخعي: [لأنا لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة]، وقال: [تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري]، وقال الزهري: [ما ابتدع في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء]، وقال الأوزاعي: [كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان: ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء]، وقال شريك القاضي: [المرجئة أخبث قوم، حسبك بالرافضة خبثاً، ولكن المرجئة يكذبون على الله]، وقال سفيان الثوري: [تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابري]، وقال وكيع: [المرجئة الذين يقولون الإقرار يجزي عن العمل، ومن قال هذا فقد هلك] انظر (السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد (١ / ٣١٣)، و (لوامع الأنوار البهية) (١ / ٤٢٥).

ولا سيما خطرهم باشتراط الاستحلال للحكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام، حتى يكون كفراً أكبر، والاستحلال عندهم لا يعرف إلا بصريح اللسان فلا يعرف بالفعل، وعلى قولهم هذا فهم لا يكفرون من حكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام حتى يصرح بلسانه أنه مستحل، فقولهم هذا في غاية الخطورة؛ لأنه يمنع أحكام الله أن تصل إلى الطواغيت، وقولهم هذا يمنع من تكفير الطواغيت، ولو كانوا أسوأ من حكام اليوم بكثير، فمثلاً لو افترضنا أنه يوجد حكام بدلوا كل الشريعة وتزندقوا بوضعهم قوانين مخالفة للشريعة، فمثلاً قالوا: يجلد الزاني المحصن ويرجم الزاني البكر، تقطع يد القاتل ويقتل السارق، للأنثى مثل حظ الذكركين، الطلاق يكون بعشر طلاقات.. الخ من الافتراضات. فهم لا يعرفون كفر الحكام من هذا العمل، بل لا بد من أن يتلفظوا بالاستحلال.

فنرى التمايز الواضح بين المجاهدين والمرجئة أو المتأثرين بمنهج الإرجاء.

فالمجاهدون يحاربون المرجئة قولاً وفعلاً، أما بعض إخواننا من أهل السنة الذين أصّلوا هذه المسألة على منهج أهل السنة، نرى بعضهم لا يحارب الإرجاء من الناحية العملية، فنرى علاقته بالحاكم وسكوته عن كفرهم لا يختلف كثيراً عن علاقة المرجئة بالحكام، وصلته بالمتأثرين بالمرجئة أكثر من صلته بالمجاهدين. المنهج الإرجائي أثر على كثير من المتدينين، وأفسد عقيدتهم، وجعلهم لا يعملون على تطهير بلاد الإسلام من الكفار، وقذف اليأس في قلوب كثير منهم.

أما آن الأوان يا أمة الإسلام أن ننفض غبار الذل، وأن نمططي مطايا العز، فإذا هممت فبادر، وإذا عزمتم فتأبر، واعلم أنه لا يدرك المفاخر من رضي بالصف الآخر، قال الشاعر:

إذا ما طمحتُ إلى غاية ركبت المنى، ونسيتُ الحذر
ولم أتخوّف وعودَ الشُّعاب ولا كبة اللّهبِ المستعرُ
ومَنْ لا يحبُّ صُعودَ الجبال يَعِشُ أبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفْرِ
وقالت لي الأرض لما سألت يا أم هل تكرهين البشر
أباركُ في الناس أهلَ الطموح ومن يستلذُّ ركوبَ الخطر

٣٦- لأن التاريخ سجل صفحات مشرقة للمجاهدين:

علم من التاريخ أن هناك صفحات مشرقة تعزز بها الأمة للمجاهدين، وسجل صفحات سوداء للمتخاذلين والمخالفين لهم.

فعندما نذكر جهاد الصحابة الكرام، وكذلك التابعين، وجهاد صلاح الدين وقطز، وجهاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ أحمد ياسين، والشيخ عبد الله عزام وغيرهم، نرى الأمة تترحم عليهم ويرون طريقهم

هو طريق العزة.

ونراهم يشكون من حال الأمة اليوم، فإذا كان التاريخ سجل صفحات بيضاء ومشرقة للمجاهدين عبر العصور ضد الصليبيين وغيرهم من أعداء الأمة، فهل تظنون أنه سيسجل صفحات سوداء للمجاهدين اليوم؟ كلا.

إذا كان التاريخ حفظ لصالح الدين جهاده العظيم ضد الصليبيين، فهل تظنون أنه سينسى راية الشيخ أسامة بن لادن - حفظه الله - في جهاده الصليبيين، وكفار الشرق والغرب والمرتدين.

إن العدو اليوم أشد من العدو أمس، فهذه الحملة الصليبية ضد الإسلام هي أكبر الحملات الصليبية، والجيش الأمريكي أكبر جيش عرفته البشرية من حيث الآلة العسكرية، وإن النصر قادم بإذن الله، وقدر النصر على قدر العدو، وإن النصر اليوم يعتبر تمهيدا للخلافة التي على منهاج النبوة والله أعلم.

فيا من سلقتم المجاهدين بالسنة حداد: اتقوا الله قبل أن يلفظكم التاريخ، فالتاريخ سوف يسجل صفحات مشرقة لأقوام، وصفحات سوداء لأقوام.

فيا تُرى، من هو صاحب الصفحات المشرقة؟ ومن هو صاحب الصفحات المظلمة؟

صاحب الصفحات المشرقة هو الذي أعلن الجهاد ضد الكافر الغربي والمرتد العربي، وهو الذي ضحى بنفسه وماله في سبيل الله، وحطم كبرياء أمريكا، وأوقف المخطط الصهيوني، وأخذ بالتأثر للنساء المغتصابات والأرامل والأيتام.

وصاحب الصفحات المظلمة هو الذي خذل المجاهدين، أو خالفهم ورماهم بالتهمة والله المستعان.

٣٧- لأنهم أحيوا تطبيق حكم الردة:

إن إحياء حكم الردة لمن يستحقه أمر عظيم، ويدل على أن من أحيوا تطبيقه سوف يضحى من أجل ذلك تضحيات عظيمة في سبيل الله، بخلاف من يرى المرتدين ويعتقد ردتهم، وهو يكتف بذلك محتجاً بعدم القدرة على قتالهم، فلم يفرق بين القدرة على البيان والقدرة على التنفيذ، ومن تأمل هدي محمد عليه الصلاة والسلام وملة إبراهيم يظهر له ذلك جلياً.

إن تسلط المرتدين على مقاليد الحكم لفترة طويلة، سببه عدم إنفاذ حكم الردة عليهم، فكم هي من سنوات طويلة وهم يسبغون عليهم شرعية الحكم، ويحرم الخروج عليهم؟ ولا يعني ذلك الموافقة على جميع التنزيلات لأنها مسألة اجتهادية، فإذا قال المجاهدون: بأن حكام العرب مرتدون، ومن ناصر وظاهر أمريكا وإسرائيل على المسلمين بأنه مرتد، فقد وفقوا للصواب، وإحياء حكم الردة فيه ردع للمتطاولين على الإسلام، وحفظ لبنيناه من الانهدام، مع الحذر الشديد من تكفير المسلم بغير حق، إما لهوى أو نحوه.

أما مسألة الاجتهاد في التكفير فالمجتهد بين الأجر والأجرين، قال ابن القيم: [وفيها: أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك بل لا يآثم به، بل يثاب على نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه] زاد المعاد (٣ / ٣٧١).

وبعض الناس يقول: هؤلاء الحكام واقعون في الكفر، ولكن لا نكفرهم لعذر الجهل!! فتستغرب من منعهم إنزال التكفير بحجة مانع الجهل مع أن الواقع أنهم ليسوا جهالاً، والقاعدة في حرب معهم، وبلغهم هدفنا وقامت عليهم الحجة ومع ذلك يقولون لم تقم عليهم الحجة، مع العلم أنهم واقعون في المسائل الظاهرة التي لا يعذر الشخص فيها بجهله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب معلقاً على كلام شيخ الإسلام: [فانظر إلى تفريقه "يعني ابن تيمية" بين المقالات الخفية والأمور الظاهرة، فقال في المقالات الخفية التي هي كفر: قد يقال: أنه فيها مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها، ولم يقل ذلك في الأمور الظاهرة، فالأمر ظاهر في الفرق بين الأمور الظاهرة والخفية] انظر (ضوابط تكفير المعين) عند شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب (ص ٧٩).

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله- معلقاً على كلام ابن تيمية في "الصارم المسلول" تعليقاً على آية المستهزئين: [وفي الآية دليل على أن الرجل إذا فعل الكفر ولم يعلم أنه كفر لا يعذر بذلك، بل يكفر، وعلى أن الساب كافر بطريق الأولى نبه عليه شيخ الإسلام] (تيسير العزيز الحميد). ط مكتبة الرياض ص ٥٥٥.

تكفير الطواغيت من ملة إبراهيم كما قد مر، وليس كما قال لي بعض الدعاة: ما كلفك الله، هل كفر الحاكم الفلاني أم لا؟ فانظر إلى هذا العجب، وقارن كلامه مع كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: [فإن الله إخواني، تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره، أسه ورأسه، وهو: شهادة أن لا إله إلا الله؛ واعرفوا معناها؛ وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وأبغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفروهم، أو قال: ما علي منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى؛ بل كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم، ولو كانوا: إخوانه، وأولاده، فإن الله، تمسكوا بأصل دينكم، لعلكم تلقون ربكم، لا تشركون به شيئاً، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين] الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ / ١١٩-١٢٠).

٣٨- للرؤى:

لقد جاء ذكر الرؤيا وتفسيرها في القرآن الكريم ومثال ذلك في سورة يوسف، كما قال تعالى على لسان يوسف: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" رواه البخاري.

وكان الصديق يرى أن الرؤيا حق وكان يجيد تأويلها، وكان يقول إذا أصبح: [من رأى رؤيا صالحة فليحدثنا بها]، وكان يقول: [لأن يرى رجل مسلم مسبغ الوضوء أحب إلي من كذا وكذا] انظر (أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - شخصيته وعصره) للصابي.

وكانت الرؤيا معروفة عند الصحابة، مثال ذلك: رؤيا الطفيل بن عمرو الدوسي: [رأى أنه يستشهد قبل أن يستشهد]، وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات". قالوا: وما المبشرات؟ قال: "الرؤيا الصالحة" رواه البخاري.

ونحن لم نعتمد عليها، لكن نستأنس بها.

وقد وقع كثير من الرؤى تبشر بخير، منها رؤى تبشر بعودة الخلافة، ومنها انتصارات للمجاهدين وإزالة الحكومات العميلة، ورؤى مشينة لأهل الإرجاء وأنهم يقودون من تبعهم إلى الذل، ورؤى بذهاب العقبات من الطريق، ورؤى بالاستشهاد والابتلاء.

وحصلت رؤى لبعض الشباب فزادوا ثباتاً على هذا الطريق، ولم تتكاثر علينا الرؤى مثلما تكاثرت علينا عندما سلكننا هذا الطريق، وقد قال قائل من الجماعات الأخرى: أنتم لماذا ترون هذه الرؤى ونحن لا نراها؟

فأجاب الشيخ "أنور العولقي" وهو معروف بتفسير الرؤى: بأن الرؤيا فيها تثبيت لأهل هذا الطريق على الحق، والمخالفون لا يحتاجون إلى تثبيت في المسائل المخالفة للجهاد.

ونحن لا نعتمد على الرؤيا ولكن نستأنس بها، ولولا خشية الإطالة لذكرنا بعضها، ولو جمع جامع للرؤى من الإخوة لجمعت مجلدات تبشر بخير، فالحمد لله الذي يثبت عباده المؤمنين بتأييده.

٣٩- للتحوّل الكبير:

قد تستغرب هذا العنوان، ومرادى من ذلك أنك عندما تنظر في حال كثير من الإخوة الداخلين في تنظيم القاعدة، تجد أن نظرتهم السابقة لتنظيم القاعدة كانت في غاية من التشاؤم، فقد تأثروا بالتشويه الإعلامي ضدها، فكانوا يرونها غاية في الضلال، وأنها جرّت ويلات للأمة، وأن عندهم غباء سياسياً.. إلى آخر تلك الأوصاف الظالمة، وعندما يتجرد الله سبحانه وتعالى، وينظر أولاً: في الأصول، فيرى أنهم ينطلقون من أصول أهل السنة، وينظر إلى الواقع أن لهم الحظ الأكبر في إفشال المخطط الأمريكي، وينظر إلى إستراتيجيتهم وينظر إلى واقعهم ويرى - بفضل الله - أنهم يسيرون عليها، وأنهم يتمتعون بعمق سياسي والله الحمد، ويراهم في مقدمة الأمة وهم يضحون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وأنهم أكثر الجماعات

الإسلامية تلاحماً وبذلاً للأوقات لله عز وجل.

فهذا التحول العجيب يذكرك ببعض الصحابة الذين أسلموا، فكانوا قبل إسلامهم يبغضون الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودينه وبلاده أشد البغض، قال ثمامة بن أثال الحنفي -رضي الله عنه- بعدما أسلم: [يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ] [دلائل النبوة للبيهقي (٤ / ٧٨)، والسيرة النبوية لابن كثير (٤ / ٩٣)].

فهذا التحول العجيب لا تذكر له مثيلاً إلا في الرعيل الأول، والتحول من جماعة إلى أخرى عند كثير من الشباب ليس فيه هذه النقلة النوعية، التي هي من أقصى الشمال إلى أقصى اليمين، إلا عند التحول إلى القاعدة.

٤٠ - للكرامات:

[والكرامة أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه؛ معونة له على أمر ديني أو دنيوي] (شرح العقيدة الواسطية) لابن تيمية، تأليف محمد خليل هراس شرح قوله: [ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء].

وحصول الكرامات أمر دلّ عليه الكتاب والسنة، ودلّ عليه النقل عن الأمم السالفة وعن هذه الأمة، والكرامات فيها تثبيت للمجاهدين على طريق الجهاد في زمن كثرت فيه الشبهوات والشبهات، وكثر فيه المخدّلون والمخالفون، فكم أثرت تلك الكرامات ففرحت بها القلوب، واطمأنت لها النفوس واشتاقت للجنان.

والكرامات التي حدثت للمجاهدين كثيرة جداً، تحتاج إلى من يؤلف فيها تأليفاً مستقلاً، ولكن نذكر بعض الأمثلة من ذلك، وأترك المجال لأحد إخواني المجاهدين شارك في الجهاد الأفغاني ضد الأمريكان يحكي لنا بعض القصص:

١- (معاذ عتش) الذي لم يتجاوز العقد الثاني من عمره، صاحب الخلق الرفيع والأدب الجمّ، الذي تربى على آيات الجهاد وأحاديثه، الصابر على شدته وأتعبه.

وفي ليلة من ليالي رمضان في مجموعة المدرب (حبيب التعزي) -رحمه الله-، تعرضت تلك المجموعة لقصف شديد من الطيران الأمريكي، قُتل أكثر من (١١) أخاً، وكان من ضمن هؤلاء البطل الفذ شبل الإسلام (معاذ عتش) الذي كان على مقود السيارة أثناء القصف فقتل مباشرة واحترق داخل السيارة، حتى أنه حينما أُخرج منها كان قد تفحم جسده تماماً حتى لا تعرف ملامحه الظاهرة، وأثناء النظر إلى جسده المتفحم وُجد بقايا حريق قطعة فإذا هي بقية من مصحفه الذي تفحم، كان يحمله في جيبه وذلك المصحف احترق تماماً ما عدا آيتين من كتاب الله، احترق هامش الصفحة ولم تصب الكتابة بأي شيء، وهما قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي

الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا × دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿النساء: ٩٥، ٩٦﴾.

٢- وفي ليلة الاثنين الثالث من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢١هـ تقريباً، قُصِف مقر منظمة "الوفاء" الذي كان بداخله بعض الإخوة، وكان قريباً منه منزل يضم بعض عوائل المجاهدين العرب في أفغانستان، فزعت العوائل من ذلك القصف وقرروا التحرك إلى مكان آمن خاص بعوائل العرب، وفي أثناء الطريق إلى ذلك الموقع تم قصفهم بطيران أمريكي، وكانوا في سيارتين وهم أربعة من الإخوة وست من الأخوات، فعلى إثر القصف العنيف تناثرت أشلائهم واختلطت دماؤهم، فهرع إلى ذلك الموقع فرقة من الإخوة وكنت معهم^٣، فحينما وصلنا إلى الموقع كان قد سبقتنا إحدى المجموعات، ولممت الأشلاء وأثناء جمع تلك الأشلاء ثارت في ذلك الموقع رائحة، هي والله أذكى من كل عطور الدنيا، ولا أستطيع تشبيهها بأي عطر من عطور الدنيا، وضمن من وجدت أشلاءها إحدى الأخوات التي طار رأسها بحجابه وسقط على الأرض وهو محجب ولم ينزع حجابها، فحمل كما هو محجباً (ستراً في الدنيا والآخرة بإذن الله) وحملت معي والد إحدى الأخوات اللاتي قتلن، فكان متأثراً ففاجأني ابن أخيه وهو يبارك لعمة ويقول: [يا عم أبشر فقد قتلت ابنتك شهيدة]، وأخرج قصاصة من جيبه ويقول: [شم يا عم هذه بقايا ورقة من حصن المسلم الذي تحمله] فأخذتها من يده فشممتها فإذا هي نفس الرائحة التي شممتها في ذلك الموقف!! ثم استأذنت أباها فأخذت تلك الورقة منه وجلست بحوزتي وتلك الرائحة فيها أكثر من أسبوع!! وفي أثناء عودتي التقيت بأحد أفراد المجموعة، ففاجأني بكيس يحمله فيه بقايا أموال مقطعة وجواز سفر ممزق لبعض الإخوة الذي قُتلوا في ذلك الموقع فقال لي: [يا فلان شم تلك الرائحة. فوجدت آثار دم فيها، وإذا هي نفس تلك الرائحة التي شممتها، وكان من ضمن هؤلاء الأخوات اللاتي قتلن، زوجة أخينا (الزبير الضالعي) -رحمه الله-، الذي رآه أحد أبناء المجاهدين في رؤيا بعد مقتله، وكان مقتله قبل مقتل العوائل بثلاثة أيام، فقال: [ما فعل أهلي بعدي؟ قال: فرحوا بأنك استشهدت، ووزعوا علينا الحلوى، قال: فبشّرهم بأنهم سيلحقون بعد ثلاث ليالي!! وقد تحققت تلك الرؤيا!! فكان مقتل العوائل بعده بثلاث ليالي!! فسبحان الله العظيم] انتهى كلام الأخ.

وهذه الكرامات هي نزر يسير من سيل من الكرامات، ومما يدلك على كثرتها أنك لا تكاد تجد مجاهداً إلا ويحكي لك كرامات.

وهذه الكرامات التي ذكرناها، عندما كنت أكتب هذه الورقات كان بجانبني الأخ فطلبت منه ذلك، وإلا فما من مكان للجهاد في سبيل الله إلا وتسمع بالكرامات للمجاهدين، سواءً في فلسطين، أو العراق، أو أفغانستان، أو الشيشان، أو الصومال، أو جزيرة العرب أو بلاد المغرب الإسلامي أو غيرها.

وقد قابلت بعض المجاهدين في اليمن، فأخبروني بكرامات حصلت خلال هذه الأيام فله الحمد والمنة.

٣ - الكلام لراوي القصة لي الذي كان بأرض الجهاد .

٤١- لسمو مصدر رزقهم:

عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالساً عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال رجل: يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال: كذبوا، الآن جاء القتال ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله" رواه النسائي، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وفي حاشية السندي على النسائي قال: [و"يزيغ" من أزاغ إذا مال، والغالب استعماله في الميل عن الحق إلى الباطل، والمراد يميل الله تعالى لهم -أي لأجل قتالهم وسعادتهم- قلوب أقوام عن الإيمان إلى الكفر؛ ليقاتلوهم ويأخذوا ما لهم، ويحتمل على بعد أن المراد يميل الله تعالى قلوب أقوام إليهم؛ ليعينهم على القتال ويرزقهم].

وهذا الحديث يدل على مصدر من مصادر رزق الطائفة المنصورة، وأنه الغنائم التي تغنم من الحروب، وإذا نظرنا إلى الواقع نجد المجاهدين يجعلون الغنائم من أعظم أسباب رزقهم وعتادهم، ولم يقيموا جهادهم إلا وهم جاعلون الغنائم نصب أعينهم، وهذا الكسب من أعظم المكاسب، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي" رواه البخاري معلقاً، وأحمد في مسنده، وقال الشيخ الألباني: (صحيح).

٤٢- اللهمم العالية:

الناس يختلفون في همتهم، فمنهم من همته دنية، ومنهم من همته عالية.

[كان الأعرابي يأتي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسأله حفنة من شعير قائلاً: أعطني من مال الله لا من مال أبيك ولا من مال أمك]. ما يطلب إلا ما يذهب للحش، هذه همته، وهمته ربيعة بن كعب الأسلمي همته فوق الشمس، عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال: "يا ربيعة! سل". قلت: أسألك مرافقتك في الجنة؟ قال: "أو غير ذلك؟" قلت: هو ذلك، قال: "فأعني على نفسك بكثرة السجود" رواه مسلم، انظر كتاب (صلاح الأمة في علو الهمة) ١ / ١٩.

وقال ابن القيم -رحمه الله-: [وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: في بعض الآثار الإلهية يقول الله تعالى: (إني لا أنظر إلى كلام الحكيم وإنما أنظر إلى همته)، قال: (والعامة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسن، والخاصة تقول قيمة كل امرئ ما يطلب)، يريد أن قيمة المرء همته ومطلبه] مدارج السالكين (٣ / ٣).

ومما زاد إعجابي بالقاعدة همتهم العالية، ودليل ذلك وقوفهم وجهادهم للقوات الصليبية الغازية لدار

الإسلام، ولم يكتفوا بذلك بل جهادهم للحكام المرتدين، ولم يكتفوا بذلك بل أعلنوا أن جهادهم ليس لإخراج المحتل فحسب بل لإقامة حكم الله في الأرض؛ "لإقامة الخلافة الإسلامية"، وهم يعلمون الثمن الذي سيدفعونه، فيعلمون أن الثمن بذل الأموال والأنفس والأوقات في سبيل الله، يعلمون أنه الابتلاء، يعلمون أن المرحلة شاقة لكن ثقتهم بالله ونصره، ثم بذلوا ما يستطيعونه من الأسباب وتوكلوا على الله، ولم يسمعوا لضعفاء العزائم والمخذلين ونحوهم، والواقع يثبت صدق عزمهم.

والإسلام يحتاج إلى همم عالية؛ حتى يتم تطهير أرضه من اليهود والنصارى والمرتدين، لاسيما المسجد الأقصى، ويعلم كل ذي عقل أننا لن نحقق ذلك إلا بالهمة العالية.

والقاعدة بفضل الله تتمتع بهمة عالية حتى أن بعض المخالفين ينظر إليهم بأنهم سطحيوا النظرة، وما علم المخالف أنها الهمة العالية.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

٤٣- لأنهم يتعلمون مع الحدث:

لو نظرنا إلى ما كان عليه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لرأينا أنهم كانوا يتعلمون مع الحدث، فكانوا يعانون من الاضطهاد والتعذيب بمكة، فكانت الآيات تنزل بالصبر والثبات على هذا الدين، وتحكي لهم ما تعرض له أنبياء الله من القهر والتعذيب، فتتلج صدورهم، ويزداد ثباتهم، وهكذا لما هاجروا إلى المدينة، عرف الصحابة بأن منهم مهاجرين وأنصار، وكان القرآن الكريم يتناول هذه الألفاظ ويثني عليها لما تحمل من معانٍ عظيمة، وعندما ضرب المهاجرون أروع الأمثلة بخروجهم من ديارهم وأموالهم، وحياتهم على الفقر في سبيل الله، أثنى الله عليهم فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

ولما ضرب الأنصار أروع الأمثلة في الكرم والأخوة، وفتحوا صدورهم قبل بلادهم وقاسموهم في الأموال، أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وهكذا عندما خاضوا معركة (بدر) تنزلت الآيات، وهكذا (أحد)، و(الخندق)، و(الفتح)، و(حنين) وغيرها، فكان الصحابة يتعلمون مع الحدث، فيكون أبلغ في الفهم، وأبلغ في الثبات على الدين.

والقاعدة اليوم -بفضل الله- يتعلمون مع الحدث، فلا يتعلمون علماً نظرياً بعيداً عن الحدث كما يتعلمه البعض! فعندما يتعلمون أن الصحابة قد ابتلوا في سبيل الله فمنهم من قُتل شهيداً ومنهم من أُسر ومنهم من يعيش خائفاً على دينه، فهم لذلك منهم من قتل ومنهم من أُسر ومنهم من يعيش خائفاً.

ولما تعلموا أن الصحابة -رضي الله عنهم- خرجوا من ديارهم مهاجرين، تجد في القاعدة مهاجرين يقاسون من ألم الهجرة وكذلك الأنصار، ومن يتعلم مع الحدث خير ممن يتعلم نظرياً، وتوضيح ذلك انظر إلى هذين الرجلين:

أ- الرجل الأول: تعلم من سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بما فيها من الجهر بكلمة الحق والابتلاء، والهجرة والنصرة، والإعداد والجهاد، وفراق الأحبة بالقتل والأسر، ثم طبق ذلك عملياً، فكان يجهر بكلمة الحق وابتلي وأعدَّ وجاهد وفارق الأحبة.

ب- الرجل الثاني: درس السيرة النبوية نظرياً، ولم يجهر بكلمة الحق، ولم يتعرض يوماً من الأيام للابتلاء الذي هو الابتلاء الحقيقي، ولم يعد ولم يجاهد، ولم ير مهاجرين ولا أنصار، هل ترى أن الرجلين سواء؟!.

هيهات هيهات، فقل لي بربك: أيهما أسعد بسيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ اسأل نفسك لعل الله يوفقك للإجابة.

ما أجمل العلم مع الحدث، وما أجمل نوق الأدلة مع العيش معها عملياً، فعندما تسمع حديث: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"، فعندما تسمع هذا الحديث وأنت في حالة حرجة لا شك أنه سيكون له وقع في نفسك مما وأنت تكون في غاية الأمان، وكذلك عندما تسمع هذه الآية: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ما أجمل سماع هذه الآية في كل وقت وحين، ولا سيما وأنت عندما تسمعها تسمع الأعداء يعدون العدة للهجوم على المجاهدين وأنت في حالة استنفار، وكذلك قول الله عز وجل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ما أجمل أن تسمع هذه الآية وأنت ترى المجاهدين وهم يُقتلون شهداء.

إن قاعدة الجهاد تعيش اليوم هذه الأحوال، فالمجاهدين اليوم يتعلمون مع الحدث، وكم من رجل اليوم حُرِّمَ التعليم مع الحدث، فأصبح يدرس السيرة النبوية دراسة نظرية في كثير من جوانبها؛ ولولا الإطالة لاستطردنا في ذكر نماذج من ذلك.

٤٤- لأن العالم رماهم عن قوس واحدة:

لو نظرنا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه عندما بدأ دعوته، لرأينا أن العرب قد رمتهم عن قوس واحدة، فقلَّ معهم النصير، وتنكرت لهم البلاد والعباد، وعاداهم الأقارب قبل الأبعد، فتارة

يسخرون منهم ويحتقرونهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وتارة يصفونهم بالسكر كما قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

ورمواهم بتشويهه تعاليمه وآثاره، وإثارة الشبهات وبث الدعايات الكاذبة قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

واليوم القاعدة رماها العالم عن قوس واحدة، فرجل ينتسب للقاعدة لا يأمن على نفسه من أي حكومة من حكومات العالم، فرماهم العرب والعجم، وتكالب عليهم اليهود والنصارى والمرتدون والمنافقون وبعض الإسلاميين، حتى أن بعض الإسلاميين يتسلق على ظهر القاعدة؛ وذلك عندما يؤمن نفسه وطريقته بالتقرب للطواغيت بسبب القاعدة، وعندما تظلم القاعدة لا نسمع شجباً ولا استنكاراً!!.

وعلى سبيل المثال: عندما قُتل الشيخ أبو علي الحارثي -رحمه الله- من قبل الأمريكان في بلاد اليمن، لم نسمع منهم شجباً ولا استنكاراً!! وعندما ضُربت السفارة الأمريكية في اليمن، أو عندما استُهدف السياح سمعنا صرخاتهم والله المستعان.

فيا أبا الإسلام: نحن في زمن الغربية، ومن يتمسك بهدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في هذا الزمن فلا يقبل ولا يستقبل، فلا بد أن يدفع الثمن، والمجاهدون اليوم يدفعون الثمن، فما يضرهم عداوة البشر إذا كان معهم رب البشر!!.

لله دركم أيها القاعدة، عندما أراكم لا يضركم إرجاف المرجفين وتخذيّل المخذّلين، ولا عداوة المنافقين ولا حرب اليهود والنصارى.

لله دركم عندما رماكم العالم عن قوس واحدة وأنتم في ثبات ويقين وعلى درب الجهاد سائرون، حتى يحكم بينكم وبين أعدائكم رب العالمين.

وحيث أراكم وأنتم ثابتون مع إخوانكم المجاهدين الآخرين تذكرونني بالرعيّل الأول لهذه الأمة، التي كانت تهدد فارس والروم وهم رعاة أغنام، فلما ثبتوا على درب الجهاد مكنهم الله من رقاب فارس والروم.

فالثبات الثبات على أمر الجهاد، واعلموا أن هذه الأمة معطاء، أمة قبول سوف ترمي بفلذات أكبادها بين أيديكم، وتقول لكم: خذوا صواريخكم فانحروا الكفر العالمي، والنصر صبر ساعة، واعلموا أن الله حافظ هذا الجهاد، فإن خذل عنه أقوام فسوف يأتي الله بأخرين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ × إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩، ٣٨].

٤٥ - لأن فيهم مهاجرين وأنصار:

إن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم أقوام آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبياً رسولاً، فأمرهم أقوامهم وقبائلهم بالتنازل عن هذا الدين، فأبوا الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام، والعودة للظلمة بعد النور، فعذبهم أقوامهم وقهروهم، فأذن لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة فهاجروا وتركوا ديارهم وأموالهم، فسموا بالمهاجرين، فما أعظم تضحيتهم وما أحسن بلاءهم في الإسلام، فمدحهم الله تعالى فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وقوم آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبياً رسولاً، فقدموا تضحيات لهذا الدين، ففتحوا صدورهم لإخوانهم المهاجرين قبل بلادهم وبيوتهم، وآوا إخوانهم المهاجرين، وقاسموهم المال والدار فسموا بالأنصار، فأثنى عليهم رب العزة فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

أخي القارئ: لا شك أن الأمة الإسلامية لن تعدم هذا الخير، لاسيما في زمن غلبة الكفار وتسلطهم، فإن أمر المهاجرين والأنصار سوف يبرز مرة أخرى حتى يعود الإسلام إلى مكانته الماضية، وحتى تكون كلمة الله هي العليا.

والقاعدة اليوم تراهم بفضل الله ينقسمون إلى مهاجرين وأنصار، فإذا قرأت في السيرة النبوية أو سمعت نكر المهاجرين والأنصار، واشتاقت نفسك لرؤية واقع عملي يقتدي بآثارهم ويسير على نهجهم، فعليك بالمجاهدين فهم أفضل واقع عملي يترجم حياة المهاجرين والأنصار.

فيا أبا الإيمان: لا تظن هذه مجازفات، ولا حبراً على ورق، ولا أقلام يطلق لها العنان، لكنها والله الحقيقة، فإن القاعدة اليوم فيها مهاجرون وأنصار.

فيها مهاجرون تركوا النعيم، فمنهم من كان يعيش في البيت الجميل، والمركب الحسن، والعيش الرغيد والملبس الأنيق، وتراه اليوم ينام في الخيام، ويركب الحمار، ويأكل العيش المتواضع ويلبس اللباس الرث، ومع ذلك فهو شوكة في حلق الطغاة، وفي سعادة لا يعلم بها إلا الله، وقد زرت بعضهم فوجدتهم يصنعون طعامهم أحياناً على الجمر، فله دركم يا مهاجرين، لله دركم يا من أحييتم آثار أبي بكر الصديق، وثبات عمر، وتضحية عثمان وبأس علي - رضي الله عنهم جميعاً -.

وفيهم أنصار سلكوا الجهاد، فباعوا دنياهم لدينهم، فجعلوا الدين في قلوبهم والدنيا في أيديهم، فانقلب أمنهم إلى خوف، وسياحتهم إلى حصار، وتشرفت بلادهم وبيوتهم بأن تكون مأوى للمهاجرين.

وإذا كنا نقرأ في السيرة عن تضحية الأنصار للمهاجرين، فإننا اليوم نرى الأنصار مثلاً حياً للاقتداء

بالأنصار الأولين.

يا أنصار الإسلام: كم نكنُّ لكم من الحب والاحترام والتقدير، عندما نراكم تجودون بأفضل ما تملكون لإخوانكم المهاجرين؛ لنصرة هذا الدين.

كم لكم من الأجور وأنتم تعرِّضون أهاليكم وأولادكم للخطر، حفاظاً على حياة إخوانكم المهاجرين والأنصار الآخرين، فله دركم أيها الأنصار، فكم نكرتمونا بكرم أبي أيوب، وثبات السعدين -رضي الله عنهم جميعاً-.

ومما أحب أن أقول لك يا أبا الإيمان، يا من قد تمعَّر وجهك يوماً في سبيل الله، يا من ذكر عزَّ الإسلام في الماضي وذلَّ أهله في الحاضر فذرفت عيناه، يا من سمع بأن اليهود والنصارى احتلوا بلادنا، يا من يرى الطواغيت أبعثوا شريعة الله وحاربوا المجاهدين، يا من أثّر ذلك في قلبه فأرَّق نومه، أقول لك: هل تحب أن تبصر بداية نور العزة، وأن تضع قدميك على درب الغيرة، وتعيش حياة عملية للمهاجرين والأنصار؟

فعليك بطريق المجاهدين، واعلم والله أنهم يعيشون حياة لم يعيشها غيرهم، أليسوا يعيشون مرفوعي الرأس، يؤرِّقون أعداء الله ويهربونهم، أليس أبناء الغيرة من هذه الأمة يفتخرون بأعمالهم ضد أعداء الإسلام؟ فاسأل الله الهداية، فإن بابها عظيم.

٤٦ - لأنهم بدؤوا بالواجب قبل المستحب، وبالفاضل قبل المفضول:

هذه الفقرة حقيقة ثابتة لكل ذي بصيرة، فلو نظرنا إلى أعمال القاعدة واهتماماتها، فإنها اشتغلت بالجهاد لإخراج العدو الصائل المحتل لبلاد الإسلام، واشتغلوا بالجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا، وحتى ينهدم شرك القصور المتمثل في التشريع المخالف لشرع الله والحكم به، ومولاتهم لليهود والنصارى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم] أ.هـ. المستدرك على فتاوى ابن تيمية (١ / ١٧٠).

وعلى اعتبار أن الجهاد اليوم فرض كفاية -تنزلاً-، فهو من أفضل الأعمال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: [فالجهاد والصبر فيه أفضل الأعمال، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد، والترمذي وصححه، وهو من حديث معاذ بن جبل الطويل -وهو أحب الأعمال إلى الله-] مجموع الفتاوى

وقال أيضاً: [والجهاد أفضل من الحج والعمرة، كما قال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ × الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ × يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ × خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] [التوبة: ١٩: ٢٢] مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٦٠).

قال ابن قدامة في المغني (١٠ / ٣٦٢): [مسألة: قال أبو عبد الله: لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد: روى هذه المسألة عن أحمد جماعة من أصحابه، قال الأثرم: قال أحمد: لا نعلم شيئاً من أبواب البر أفضل من السبيل. وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله، وذكر له أمر العدو فجعل يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفضل منه. وقال عنه غيره: ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال، والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن حريمهم، فأى عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم] أ.هـ.

وإن من مداخل إبليس على بعضهم اليوم أن شغلهم بالمفضول عن الفاضل، وبالمستحب عن الواجب، وهذا من طرق إبليس في استدراج العباد، وقد بين ذلك ابن القيم - رحمه الله - فقال: [العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها وحسنها في عينه وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح؛ ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسباً وربحاً؛ لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب، طمع في تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضي له] مدارج السالكين (١ / ٢٢٥).

فترى بعضهم ينشغل ببعض الأعمال الخيرية عما هو أوجب واجبات الدين بعد الإيمان بالله وهو الجهاد، فهو يرى نفسه على خير - ولا شك أنه على خير - لكن شغل بهذا الخير عن أفضل وأوجب منه، كالذي يشتغل بالعلم الكفائي ويترك الواجب العيني عليه من الجهاد.

أما القاعدة فهي - بفضل الله - مهتمة بالأهم فالمهم، وبالواجبات على قدرها في الكتاب والسنة.

ولقد عُدَّ في التاريخ الذين انشغلوا بالمفضول عن الفاضل وبالمستحب عن الواجب وصمة عار وتاريخ غير مشرف!! واليوم التاريخ يتجدد، فمن الناس من يسلك أفضل الأمور رغم صعوبتها، ومنهم من ينشغل بالمفضول عن الفاضل، نسأل الله أن يوحد صفوف أهل السنة وأن يجمع كلمتهم على البر والتقوى.

وقد يقول قائل: نحن لا نراكم بجهادكم هذا قد انشغلتم بالواجب عن المسنون!!

فنقول: إن جهادنا لعدوين:

العدو الأول: اليهود والنصارى الذين احتلوا بلاد الإسلام.

العدو الثاني: أذنبهم من الحكام المرتدين، الذين هم جزء من الحملة الصليبية ضد الإسلام، فإن لم تقتنع بمجاهدة العدو الداخلي فما الذي يمنعك من مجاهدة العدو الخارجي "اليهودي والنصراني"؟ فأنت بين أمرين: إما أن تقول: "لا جهاد اليوم" فهذه طامة حكايتها تغني عن الرد عليها، وإما أن تقول: "نعم هناك جهاد" فإذا لم تذهب للجهاد فأنت بين أمرين:

إما أن تقول: لا نجاهد هناك لأسباب منها الطريق وغيره من الأعذار، فنقول: اتق الله ما استطعت، وعلق الأمة بالجهاد وحثها واعمل بصدق على إزالة العقبات من الطريق، وادع الله أن يبلغك إلى هناك، وإما أن تقول: أنا مشغول بأعمال دعوية وغيرها، فهذا خير...، ولكن: ألا ترى أنك انشغلت بالمستحب عن الواجب؟ وإذا انشغل بعض المشايخ بذلك! فلماذا لا يحرضون الشباب على الذهاب لتحرير بلاد الإسلام، الذي هو أوجب الواجبات بعد الإيمان؟ أليس ذلك من عقبات إبليس؟

وفي حقيقة الأمر لو نظرنا إلى بعض الجماعات، فهي لم تجاهد العدو الداخلي ولا العدو الخارجي، فهذا في حقيقة الأمر جناية على شعيرة الجهاد، التي لو أقامها أبناء الإسلام لرأيت اندحار اليهود والنصارى، ومصارع الحكام الطواغيت.

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله
فقلتُ له لما تمطى بجوزه
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل
فيا لك من ليلٍ كأنَّ نجومه
عليّ بأنواعِ الهمومِ لبيتلي
وأردفَ أعجازاً وناءً بكلِّك
بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثل
بكلِّ مُغارِ الفتلِ شدتْ بيذبلِ

وإذا رأيتنا نكثر الكلام حول مسألة القوانين الوضعية، فلا تستغرب ولا تنتقد، فإنها مسألة جديرة بالعناية، لاسيما في هذا الزمان، ونحن نكثر الكلام حولها وتوضيحها للناس لأسباب:

(١) لأنها مسألة تتعلق بالإيمان والكفر: فهي مسألة تتعلق بـ "لا إله إلا الله"؛ لأنك لا تحقق "لا إله إلا الله" إلا إذا كفرت بالطاغوت وآمنت بالله، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهذه المسألة تتعلق بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، والدين والإيمان، وليس هذا موضع البسط.

(٢) لأنها من أكثر المسائل انتشاراً: والشيء إذا كان متفشياً بصورة أوسع في الناس، ولو لم يكن أكثر جرماً، فإنه يقدم على الذي لم يكن متفشياً وإن كان أكبر منه، ودليل ذلك أن الله بدأ بتحريم نكاح زوجة الأب قبل الأم، ولا يعني ذلك أن نكاحها أشدّ جرماً من نكاح الأم، ولكن بدأ الله به لما كان أكثر انتشاراً في الجاهلية، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ × حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ... ﴿[النساء: ٢٣، ٢٢]، ذكر هذه الفائدة الدعوية الشيخ / مصطفى العدوي في "التسهيل لتأويل التنزيل".

ومسألة الحاكمية قد جمعت بين شدة الجرم وسعة الانتشار، فينبغي الاهتمام بها ووضعها في غاية العناية.

(٣) لأن العلماء كانوا يهتمون بعلاج الانحراف في عصورهم: فالانحراف البارز في عهد الإمام أحمد هي قضية خلق القرآن؛ فأولى هذه المسألة اهتماماً بالغاً، وصدع بكلمة الحق، وأوذى، وسجن، وجلد وصبر. والانحراف في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية كان في باب الأسماء والصفات؛ فنرى أنه أولاه اهتماماً كبيراً، وفي زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان في توحيد الألوهية فأولى ذلك اهتماماً، وكتبهم شاهدة على ذلك.

واليوم الأمة تعاني من الانحراف في قضية الحاكمية، وفي منازعتهم لحق من حقوق الله وهو حق التشريع والحكم، والقاعدة تولى هذه المسائل جل الاهتمام، يقول الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في "عمدة التفسير" (٤ / ١١٧٤): [أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يُحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة؟ بل تشريع يدخله الأهواء والآراء الباطلة، يغيرونه، ويبدلونه كما يشاءون، لا يبالي واضعه أو وافق شرعة الإسلام أم خالفها...].

وقال أيضاً: [إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام -كائناً من كان- في العمل بها، أو الخضوع لها، أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه وكل امرئٍ حسيب نفسه] أ.هـ. وانظر (الحكم بغير ما أنزل الله) للمحمود ص ١٩٥.

وقال الشيخ الشنقيطي في "أضواء البيان" (٣ / ٢٥٩): [وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور: أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على السنة أوليائه، مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على السنة رسله -صلى الله عليهم وسلم-، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم] أ.هـ.

(٤) لأن من الناس في هذه المسائل من ألبس المرجئة ثوب السنة: ولم يحزر مذهب أهل السنة من مذهب

المرجئة، فأصبح من المهم توضيح ذلك؛ لأن هذا المعتقد له تأثير كبير على أرض الواقع، فهو يخرّ شباب الأمة ويجرها نحو الذلّ والضعف والبعد عن الجهاد، وصدق من سماها "فتنة التخدير".
نعم إن الإرجاء له دور كبير في انحطاط الأمة فإله المستعان، فإذا كانت القاعدة مهتمة بهذه المسائل فهل تلام على ذلك؟

ختاماً:

جمعت هذه الأسباب التي من أجلها اخترت "قاعدة الجهاد" لعلَّ الله تعالى ينفع بها حائراً، أو يكشف بها شبهة، أو يزيل بها لبساً، وما أكثر الشبه في زماننا، وما أكثر الصادّين عن الحق باسم الحق!! .
فلعل الله يقوي بهذه الكتابة شوكة المجاهدين ويضعف بها شوكة الطواغيت، وقد أحببت الاختصار في الكلام على بعض هذه النقاط، وإلا فبعضها يحتاج إلى بسط.

فيا أهل السنة: أنتم اليوم بأمرس الحاجة لتكوين اليد الضاربة لكم، تضربون بها أعداء الله، فلماذا لا ندفع العجز والضعف؟ ونحن قادرون على ذلك بتكاتفنا على ذلك، أليس بقاؤنا على النقص يعتبر نقصاً؟
وما أحسن قول أبي الطيب المتنبي حيث قال:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

والنصر قادم بإذن الله، ولكن من يصنع النصر؟ أما إذا جاء النصر دخل الناس فيه أفواجاً.

إن صناعة النصر بعلم وبيان، وسيف وسان، صناعته بمداد أقلام العلماء، وطلبة العلم العاملين، وأموال المحسنين وبدماء المجاهدين، وقبل ذلك بصبر ويقين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فهذه أسباب جمعتها نصره للحق فيما أعتقد، فما كان من حق فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل لها القبول، وأن يغفر لي الزلة ويمحو الخطيئة، إنه جواد كريم بر رحيم.

وكتبه: أبو مصعب العولقي

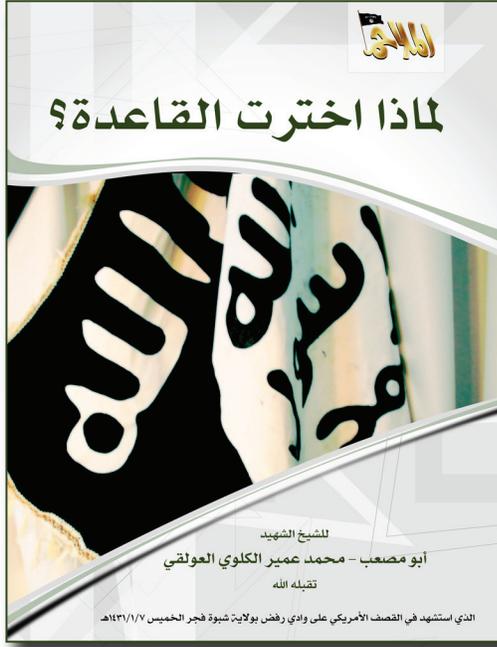
محمد عمير الكلوي العولقي

بلاد اليمن جزيرة العرب

الفهرس

- ٣ تقديم الأمير الشيخ أبي بصير ناصر الوحيشي - حفظه الله-
- ٥ تقديم الشيخ أبي البراء العولقي - حفظه الله-
- ٧ مرثية في الشيخ محمد عمير الكلوي العولقي للشيخ إبراهيم الربيش
- ٨ لماذا اخترت القاعدة:
- ٩ ١. لأنهم سلكوا منهج الجهاد
- ١١ ٢. لأنه لا يضرهم من خذلهم
- ١٢ ٣. لأنه ينطبق عليهم وعلى غيرهم من المجاهدين أيضاً وصف الطائفة المنصورة بأنها تقاتل على الحق
- ١٣ ٤- لأنهم غرباء
- ١٤ ٥- لأنهم أسعد الناس بملة إبراهيم
- ١٥ ٦. ملة إبراهيم إعلان البراءة من الكافرين
- ١٧ ٧- لأنهم يأخذون بالسنن الشرعية والكونية في تحقيق النصر
- ١٩ ٨- لأنهم أشد جماعة من جماعات الإسلام كرهاً وبغضاً عند اليهود والنصارى والمنافقين
- ٢٠ ٩- لاهتمامهم بجانب الأخوة في الله
- ٢٢ ١٠- لأنهم يُعدُّون العدة
- ٢٤ ١١- لأنهم لم يقدموا صنم المصالح والمفاسد على الأدلة
- ٢٥ ١٢- لأنهم أحيوا مصطلح علماء السلطان
- ٢٦ ١٣. لأنهم يفرقون بين تقديس العلماء وتقدير العلماء
- ٢٩ ١٤- لأنهم يسировون على طريقة المحققين من أهل العلم
- ٣٥ ١٥- لأحاديث الملاحم
- ٣٥ ١٦- لأنهم أكثر الناس تفاؤلاً ببشائر النصر
- ٣٧ ١٧- لأنهم يشاركون مشاركة فعالة في صناعة النصر
- ٣٩ ١٨- لا يمنع الخلاف في بعض التنزيلات من الانضمام لهم
- ٤١ ١٩- لشرعية أسلوبهم في التربية الجهادية
- ٤٢ ٢٠- لأنهم من أفضل الجماعات الإسلامية أخلاقاً
- ٤٣ ٢١- لأنهم يواجهون حرباً إعلامية من اليهود والنصارى والمنافقين
- ٤٥ ٢٢- لأن قادتهم يذكروننا بقيادة الأمة

- ٤٦ -٢٣- لأنني تخيلت أمراً فعظم تمسكي بمنهجهم
- ٤٧ -٢٤- لأنني نظرت متأملاً لحال الأمة فقلت: لو كان بعض الناس أحياء ماذا سيكون؟
- ٤٨ -٢٥- لأنني لا أحب أن أرى العالم الإسلامي في هذه الحالة بدون القاعدة
- ٤٩ -٢٦- لأنني وجدت سعادة في هذا الطريق أكثر من غيره
- ٥٠ -٢٧- للترغيب والترهيب لترك هذا الطريق
- ٥٠ -٢٨- لأنهم أبعد الناس عن النعرات
- ٥١ -٢٩- لسياستهم الحربية
- ٥٢ -٣٠- لأنهم يرهبون أعداء الله
- ٥٤ -٣١- لكون منهج المجاهدين موعود بالهداية
- ٥٥ -٣٢- لأن الجماعات الإسلامية لو كانت على منهجهم لتعجل النصر
- ٥٧ -٣٣- للأدلة العقلية
- ٥٧ -٣٤- للفطرة
- ٥٧ -٣٥- لأنهم حاربوا المرجئة قولاً وفعلاً
- ٥٨ -٣٦- لأن التاريخ سجل صفحات مشرقة للمجاهدين
- ٥٩ -٣٧- لأنهم أحيوا تطبيق حكم الردة
- ٦١ -٣٨- للرؤى
- ٦١ -٣٩- للتحول الكبير
- ٦٢ -٤٠- للكرامات
- ٦٤ -٤١- لسمو مصدر رزقهم
- ٦٤ -٤٢- للهمة العالية
- ٦٥ -٤٣- لأنهم يتعلمون مع الحدث
- ٦٧ -٤٤- لأن العالم رماهم عن قوس واحدة
- ٦٨ -٤٥- لأن فيهم مهاجرين وأنصار
- ٦٩ -٤٦- لأنهم بدؤوا بالواجب قبل المستحب، وبالفاضل قبل المفضول
- ٧٤ ختاماً
- ٧٥ الفهرس



المؤلف في سطور

- درس العلم عند الشيخ مقبل الوادعي، وفي دار الحديث بمأرب، ودرس بها، وله طلبية علم ومحبين، وله في طلب العلم وتدريسه خمسة عشر عاما.
- قام بالدعوة إلى الله في ولاية شبوة وغيرها من ولايات اليمن، ونفع الله به أقوام كثير.
- ما كان يظن أبدا انه سيكون احد أفراد تنظيم القاعدة لكثرة التشويه الإعلامي من قِبَل وسائل الإعلام، بل ومن قِبَل بعض المشايخ وطلبة العلم.
- كان باحثا عن الحق في زمن الغربة الثانية، حتى وفقه الله للحق بإتباعه لمنهج المجاهدين في سبيل الله، وبعد أن عرف الحق واتبعه ابتلي ببلاء شديدا من أجله وأوذي من قبل أقرب الناس إليه ليعترك طريق الجهاد ولكنه رحمه الله صبر وصابر وآثر الخروج من قريته على ترك دينه وجهاده.
- كان صادعا بالحق وداعيا للتوحيد لا يهاب سلطانا ولا يداهنه.
- وقف خطيبا في تجمع القبائل اليمنية عقب القصف الأمريكي على المعجلة بولاية أبين محرضا لهم على قتال الصليبيين وأعاونهم، لقتلهم العشرات من نساء وأطفال المسلمين.
- قتل شهيدا كما نحسبه في القصف الأمريكي على منطقة رفض بولاية شبوة في محرم لعام ١٤٣١هـ